**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية** **الميدان: العلوم الإنسانية والاجتماعية**

**كلية: أصول الدين** **الشعبة: العلوم الإسلامية**

**قسم: الكتاب والسنة** **التخصص: التفسير وعلوم القرآن**

**مطبوعة بيداغوجية في مقياس:**

# أعلام التفسير في الجزائر "02"

**إعداد:**

**د/ عبد الغاني عيساوي**

**السنة الجامعية: 2021م/2022م.**

# بـطاقة تـواصلية:

**الاسم واللقب**: عبد الغاني عيساوي.

**كلية**: أصول الدين.

**قسم**: الكتاب والسنة.

**جامعة**: الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

**الفئة المستهدفة**: طلبة السنة أولى ماستر، **السداسي الثاني**.

**التخصص**: التفسير وعلوم القرآن.

**اسم المقرر**: أعلام التفسير في الجزائر2.

**البريد الإلكتروني**:abdelghaniomar@yahoo.com

**هاتف**: 00213663040357.

**مـقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى من اتبع نهجهم وأثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فبصمة علماء الجزائر في التفسير بقدر ما كانت قديمة قدم تناول العلوم كلها تأليفا وتدريسا، فإنها ذات بصمة فريدة ومساهمة كبيرة في شتى الحواضر العلمية الداخلية، كبجاية وتلمسان والجزائر ومازونة وأدرار وغيرها، والخارجية كالشام والأزهر الشريف والقيروان والقرويين وغيرها كثير، وإذ لا يمكننا الجزم بأن جهود علماء الجزائر ترتقي لأن تكون مدرسة تفسيرية خاصة ذات ملامح خاصة ومحددة، فإننا لا ولن ننكر مدى المساهمة الفعالة في بناء الصرح التفسيري عبر التاريخ العربي والإسلامي، إنْ خدمة للدرس التفسيري أو التأليف فيه.

يسر الله تعالى إنجاز المطبوعة الأولى الخاصة بأعلام التفسير في الجزائر المحروسة، والتي حوت عشرات الأعلام من المفسرين، بعد توطئة لضابط التسمية بالمفسِّر وشروط المفسِّر ومن هو الجزائري، وهي المطبوعة الخاصة بالسداسي الأول، مما جعل من استكمال العمل على إنجاز مطبوعة ثانية للسداسي الثاني لأبنائنا الطلبة وبيان أهم أعلام التفسير في تلك الحقبات الزمنية والتي وصلت حتى الزمن المعاصر، أمرا ضروريا وحتميا، لترتسم الصورة في أذهان طلبتنا عن مسار ومسلك التاريخية التفسيرية لمشايخ وعلماء الجزائر في كل الحواضر العلمية في الجزائر وخارجها، ببيان مجهوداتهم، وطريقة خدمتهم للتفسير درسا أو تأليفا أو جمعا بينهما.

قسمتُ المطبوعة إلى محاضرات، أحاول جاهدا جعل كل محاضرة خاصة بعَلم واحد من الأعلام التفسير الجزائريين بذكر ترجمته من اسم ولقب وتاريخ ميلاده ونشأة ومشايخ وتلاميذ ورحلات وآثار مصنفة ووفاته، ثم بمبحث غاية في الأهمية جاء بعنوان: صلته بالتفسير، وهو محاولة لربط العَلم بالتفسير وجهده فيه تخصيصا، إمام تدريسا أو تأليفا أو جمعا بينهما.

تتفاوت المحاضرات طولا وقصرا بحسب المادة العلمية المتوفرة، فبعض الشخصيات كانت المصادر والمراجع جد شحيحة فيها، ولا يمكننا العمل عليها إلا بمنهج "التخمين" وفقط، وليس لنا

الجزم فيها عند تناول طريقة تعامله مع الآي القرآني الكريم، **وهذا ما جعلني أحصر العَلمين وربما الثلاث تحت محاضرة واحدة.**

**وفي مفردات المقياس وجدتُ عناوين لمؤلفات في التفسير خاصة بمفسِّر واحد، جعلتها تحت عنوان المحاضرة التي كانت بأسماء الأعلام المراد البحث عن سيرتهم وتراجمهم وصلتهم بالتفسير وعلومه.**

وكل ما تم كتابته وبحثه جاء وفق مفردات المقياس الوزارية، التي اتبعتها ومشيت وفق منهجها ترتيبا للأعلام وإيرادا لهم.

**هذا والله تعالى أسأله التوفيق والسداد**

**المحاضرة الأولى: أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش، أبو العباس المقري التلمساني ت:1041هـ:**

إمام الدنيا في زمانه، المفسر المؤرخ الأديب الحافظ، المحقق المدقق في العلوم، وصفه صاحب «الإعلام» بالقول:"حافظ المغرب جاحظ البيان، ومن لم يُر نظيره في جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة ... كان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزا باهرا في الأدب والمحاضرات"[1]، وكان يلقب "بالشيخ البركة شيخ الإسلام"[2]، ولد بتلمسان وبها نشأ، ولا يعلم تاريخ ولادته، توفي بمصر ودفن في مقبرة المجاوري، وقيل: توفي بالشام مسموما، عقب عودته من إسطنبول.

ذكر أنه تتلمذ على شيوخ تلمسان في بداياته وأن أول **شيوخه** بتلمسان عمه أبو عثمان سعيد المقري، إذ يقول:"وقطعنا نبذة من الشباب في مواطن الأحباب ما بين دراسة ودراية ورواية ... وملازمة دروس بين يدي أشيخ مجالستهم نامية الغروس، وخصوصا شيخهم الذي فضله لا يفترق إلى دلال عمنا فتينا سيدي سعيد أحمد المقري "[3]، كما تتلمذ على يد الشيخ محمد القصار[4]، والشيخ أحمد بابا التنبكتي[5] الذي لقيه بحاضرة فاس والشيخ علي بن عمران السلاسي[6].

---

1: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية، الرباط، ط: 02، ت: 1993م، ج:02، ص: 308.

2: المقري صاحب نفح الطيب، محمد عبد الغني حسن، الدار القومية للنشر والطباعة، القاهرة، دط، دت، ص: 82.

3: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أحمد المقري، تحقيق: مصطفى السقا وجماعة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، ت:1939م، ج:1، ص: 10.

4: محمد بن قاسم بن علي القصار القيسي، أبو عبد الله، ولد سنة: 940هـ، تولى خطة الفتيا والإمامة والخطابة لفترة ثم عزل منها، له في علم البيان والأصلين وعلم الأنساب والرجال من رواة الحديث الإطالة والإصابة، أخذ عن جملة من الأعلام، حلاه المقري بالقول: الشيخ المفتي العلم المتفنن الأدرى المنتصر للعلوم كل الانتصار، من تصانيفه:" حاشية على شرح الكبرى" للسنوسي، توفي سنة: 1012هـ. انظر: "روض الآس" ص:332/316. و"نشر المثاني" ج:01، ص: 86.

5:أحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس: مؤرخ، أصله من صنهاجة، كان عالما بالحديث والفقه، وعارض في احتلال المراكشيين لبلدته (تنبكت) فقبض عليه وعلى أفراد أسرته، وظل معتقلا إلى سنة 1004 وأطلق فأقام بمراكش إلى سنة 1014 وأذن له بالعودة إلى وطنه. وتوفي في تنبكتسنة:1036هـ،من تصانيفه:"غاية الأمل في تفضيل النية على العمل" و"نيل الابتهاج بتطريز الديباج" وغيرها كثير. انظر: "روض الآس" ص: 315/303، و" شجرة النور" ج:1، ص: 569.

6: علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي، أبو الحسن، ولد سنة: 960 هـ، قاضي الحضرة الفاسية ومفتيها، حلاه المقري بقوله: الفقيه القاضي المفتي العلامة المتفنن أعجوبة الزمان، مشارك في التفسير والأصلين والبيان والمنطق والنحو، تلميذ

وأحمد التادلي[1] شيخ الزاوية التادلية ببلاد المغرب، وغيرهم كثير فقد جمع كثيرا منهم في تصنيف خاص سماه «روضة الآس العاطرة الأنفاسفي ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين مراكش وفاس».تنوع **تلامذته** بين حواضر مشرقية ومغربية كان يحل بها، وقد أجاز للعشرات منهم، كيحي بن أبي الصفا ابن محاسن[2]، وحسن البوريني[3]، وعمر القاري[4] وغيرهم كثير، وكل من ذكرت لهم إجازات خاصة[5] من شيخهم في فنون متنوعة.

ترك العشرات من التصانيف والتآليف في فنون شتى وعلوم متنوعة، منها:«نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب»، و«أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض»، و«النفحات العنبرية في وصف نعال خير البرية»وغيرها كثير.[6]

---

الأستاذ الزموري ولازمه كثيرا،كما ولي قضاء الحضرة المراكشية، توفي مسموما في جامع المشور، سنة:1018هـ . انظر:"روض الآس" ص: 335/332. و"نشر المثاني"ج: 01، ص: 148-149.

1: أبو العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي، شيخ زاوية تادلة ببلاد المغرب، حلاه المقري بالقول: آية من آيات الله في المجاهدة، لا يكاد يفتر عن ذلك أصلا، شاهدته وكثير من تآليفه يقرأ بين يديه، قصده الناس من البلاد الشاسعة، له دروس بجامع الكتبيين، من تآليفه:"سراج الباحث في شرح المباحث" و"الدرة النفيسة في فضائل الأدعية الشريفة" و"لباب اللباب في معاملة الملك الوهاب" وغيرها. انظر: "روض الآس" ص: 303/300. و"نشر المثاني" ج:01، ص: 113.

2: يحيى بن أبي الصفا أحمد، المعروف بابن محاسن: دمشقي المولد والوفاة،الفاضل الأديب، كان أحسن آل بيته فضلا وكمالا وأبرعهم استيلاء على المعارف واشتمالا، قرأ وحصَّل وفرَّع وأصَّل، ونَظَمَ فأجاد وأقرأ فأفاد، وقد أخذ جملة العلوم من منطوق ومفهوم عن جماعة أجلا وأشياخ،له "المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية " و" مجموع " ذكر فيه كثيرا من أمالي شيخه أبي العباس المقري. توفي سنة:1053هـ. انظر::"خلاصة الأثر"ج:2، ص:463، و"الأعلام"ج:8، ص: 151.

3: الحسن بن محمد الصفوري البوريني، بدر الدين، مؤرخ، من العلماء بالأدب والحديث والفقه والرياضيات والمنطق. ولد في صفورية من بلاد الأردن سنة:963هـ، وانتقل صغيرا مع أبيه إلى دمشق. فنشأ ومات فيها سنة:1042هـ، وكان يجيد الفارسية والتركية. من تصانيفه "تراجم الأعيان من أبناء الزمان "، و"حاشية على أنوار التنزيل". انظر:"خلاصة الأثر"ج:2، ص:51، و"الأعلام"ج:2، ص: 219.

4: عمر بن محمد بن أحمد وقيل عبد القادر بن أحمد بن عيسى الملقب زين الدين القاري الشافعي الدمشقي، رئيس أجلاء الشيوخ بالشام وكبير العلماء، ولد سنة: 958هـ، وتوفي سنة: 1046هـ، قرأ العربية والمعاني والبيان على العماد الحنفي والأصول على أبي الفداء إسماعيل النابلسي وتفقه على جماعة منهم النور النسفي. ودرس بالمدرسة الشامية الجوانية وكان له بقعة تدريس بالجامع الأموي. انظر: "خلاصة الأثر" ج:3، ص: 223.

5: أوردهامحمد عبد الغني حسن صاحب كتاب: المقري صاحب نفح الطيب، في مبحث: منح الإجازات العلمية، ص: 60.

6: ذكرها محمد عبد الغني حسن صاحب كتاب: المقري صاحب نفح الطيب، ص:82.

هاجر إلى فاس واشتغل بأمور الإمامة والفتوى والخطابة وغيرها بجامع القرويين، وكانت له مجالس خاصة في التفسير وبقية العلوم، وقد دام على ذلك لأكثر من أربعة عشر سنة، جمع فيها مكتبة ضخمة غنية من شتى الفنون والعلوم، قال الكتاني يصف مكانته ومكتبته:"ومن المكاتب التي كانت في زمن السعديين يشار لها، مكتبة مفتي فاس الحافظ أبي العباس أحمد المقري التلمساني أصلا دفين مصر، وهو بيت عريق في المجد تعدد فيه الفطاحل بتلمسان الذين أشغلوا فراغا في تاريخ الأمة العربية".[1]

ثم قصد القاهرة وأقام دروسه بجامع الأزهر الشريف، وكان من **تلامذته** الشهاب أحمد العجمي[2]، الذي أجازه الشيخ المقري[3]، ويذكر أنه أخذ عنه التفسير وأن المقري كان يشرح تفسير البيضاوي«أنوار التنزيل»، إذ يقول بعد ترجمته لشيخه:"وحَضَرْتُهُ بجامع الأزهر ثم سمعتُ عليه الكثير من «الصحيحين»و«الشّفا»...، و«تفسير البيضاوي»مع حواشيه، بمنزل الأستاذ أبي الإسعاد يوسف بن وفا[4] بحضور جمعٍ من الأعلام".

ثم يبين تلك الحواشي في موضع آخر بالقول:"وسمعتُ عليه في منزله السّعيد، الكثيرَ من «صحيحالبخاري»، وشرحه «فتح الباري»، من لفظ المحدث المعمّر محمد المدعوحجازي الأنبابي[5]،

---

1: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، عبد الحي الكتاني، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط:2، ت: 2005م، ص: 95.

2: أحمد بن إبراهيم العجمي الشافعيّ الوفائي المصري الأزهري، شهاب الدين: فاضل من المشتغلين بالحديث، ولد سنة1014هـ، ومات سنة:1086هـ،تلميذ المقري الشهاب، والنور علي الحلبي، له "مشيخة " في رسالة عدَّد بها مشايخه، ذكرها الكتاني، ورسالة في "الآثار النبويّة" و"ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب ". انظر: "الأعلام"،ج:1، ص: 92." فهرس الفهارس" الكتاني، ج:1، ص: 115.

3: إجازة المقري للمؤلِّف مؤرّخة في جمادى الأخيرة سنة 1033هـ ، ذكر نصّها المقري في "رسائله" ص367-368.

4: يوسف بن عبد الرزَاق الاستاذ أَبو الاسعاد بن أبى العطاء بن وفاء المالكي المصري كان علامة زمانه فى التحقِيق وَله الشهرة التامة وَلهالشعر الحسن والنثر الذى يعجز عن محاكاته أرباب الفصاحة واللسان، أَخذ العلوم عن أَبى النجَاء السنهوري وأبى بكر الشنوان وعن الدنوشرى، كانت وفَاته في مرجعه من الحج غرة صفر سنة احدى وَخمسين وَألف وَصلى عليه بالجامع الازهر فى محفل لم ير مثلهودفن فى زاويَة سلفه السادات بنى الْوَفَاء ورثاه الشهَاب الخفاجي. انظر:"الضوء اللامع" ج: 4، ص: 503.

5: محمد بن حجازي بن أحمد بن محمد الرقباوى بفتح الراء والقَاف الأنبابي أحد شعراء العصر وأدباء الدهر ولد بانبابه ونشأ بِمصر واشتغل برهة من الزمان بعلوم الأدب حتى فاق أقرانه فنظم ونثر ورحل الى الحرمين وتوطنها مدةثم توجه الى اليمن فمدح

وسمعتُ عليه أيضاً من أول تفسير القاضي البيضاويإلى انتهاء الحزب الأول من سورة البقرة، مع النّظر في «الكشّاف» وحواشي«السّعد»[1]و«السّيد»[2]، و«شيخ زاده»[3]، و«شيخ الإسلام زكريا الأنصاري»[4]"[5].

وهذا النص يُثبت أن الشيخ **كان يعقد دروسه في التفسير وبقية العلوم بجامع الأزهر الشريف،** وببيته الذي كان يقطن به في القاهرة، كما كان يعقد أيضا مجالسه التفسيرية ببيت صهرهأبي الإسعاد يوسف بن وفا.

ومما يروى عنه في بدايات مَقدمه للقاهرة أنه "دخل بها يوما سوق الكتب فوقع على تفسير غريب، فنظر فيه مسألة فقهية في سورة النور، وحفظ ما نُقل فيها وحرَّر، ثم اتفق أن اجتمع الفقهاء في دعوة، فلما جلسوا واطمأنوا سألهم رجل عن تلك المسألة، ودفع قرطاسه للأول من أهل المجلس، فنظر فكأنه لم يستحضر الجواب، فدفعه للذي يليه ثم دفعه هذا لهذا إلى أن بلغ الشيخ المقري، فأخذه وكتب الجواب كما حفظ، فجعلوا ينظرون إليه ويتعجبون، فلما نظروه قالوا: من ذكر هذا؟ فقال لهم: فلان في تفسير سورة النور، فأُحضر التفسير في الحين فإذا الأمر كما قال"[6]، وهو مؤشر على سرعة بديهته وحفظه وإلمامه بالتفسير والفقه.

---

الائمة بنى القَاسم وانثالت عليه جوائزهم وكان له اختصاص بِمحمد بن الحسن وله فيهِ مدائح كثيرة وله باليمن شهرة عظِيمَة.وكانت وفاته فى سنة ثمان وسبعين وألف بِمدينة أَبى عريش من اليمن. انظر: "الضوء اللامع" ج: 43، ص: 415.

1: يريد بها حاشية سعد الدين التفتازاني (ت:791هـ) على الكشاف للزمخشري.

2: يريد بها حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت:816هـ) على الكشاف للزمخشري.

3: يحتمل أنه يريد حاشيةباره باره زاده: أحمد جلبي البرسوي المعروف بطاشكبري زاده (ت 986هـ) على الكشاف للزمخشري. أو أنه يريد حاشية الشيخ زاده على أنوار التنزيل للبيضاوي.

4: حاشية بعنوان "فتح الجليل ببيان خفيّ أنوار التنزيل" منها نسخة مخطوطة برقم188 بالمكتبة التيمورية. وقد حققتكرسالة ماجستير من أول الفاتحة إلى آخر سورة النساء للطالب: الحسن ابن خلوي وعبد الله سلقيني، كليةأصول الدين: قسم القرآن وعلومه/ جامعة الإمام محمد بن سعود سنة:1406هـ. وقد أكمل الباقي كرسالة ماجستير أيضا بنفس الكلية والقسم والجامعة من طرف: سليمان ابن إبراهيم وعبد الله سلقيني، سنة: 1406هـ.

5: مخطوط، مشيخة شهاب الدين أحمد بن أحمد العجمي، منه نسخة بالمكتبة المركزية للمخطوطات الإسلاميةوزارة الأوقاف بمصر، ضمن مجموع، الرقم العام:(1779 )،الرقم الخاص :(1238) رسالة رقم 1/13. عدد الأوراق:(35)-غير مرقمة-.

6:طبقات الحُضيكي، محمد الحضيكي، ص: 58.

ثم قصد الإمام المقري بلاد الشام، وأصبح خطيبا ومدرسا بجامع الأمويين لفترة وجيزة جدا، حيث قرأ «الجامع الصحيح» للبخاري تحت قبة النسر بالجامع، ثم خرج منها قاصدا بلاد مصر من جديد، ولم تذكر المصادر ولا طلبته أنه درَّس غير «الجامع الصحيح» أثناء إقامته بدمشق.

## صلته بالتفسير وعلومه:

على الرغم من التآليف الكثيرة والكبيرة[1] التي قام بها الإمام المقري، إلا أنه لم يؤلف في التفسير أو علومه إلا مصنفا واحدا هو «إعراب القرآن الكريم»[2]، الذي هو أحد فروع علم التفسير.[3]

وقد أشار إلى هذا المصنف بروكلمان في تاريخه، ووصف دوسلان نسخة منه في مكتبة باريس، وقال أنها مبتورة البداية وناقصة، ويبدأ بالآية 254 من سورة البقرة، وهو مخطوط مؤرخ في تونس سنة:1071هـ، عدد لوحاته:229 لوحة.

قام الطالب أحمد فراجي بالعمل على تحقيقه وإخراجه لنيل درجة الدكتوراه، بقسم اللغة جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، وتمثل جهده في إعادة نسخ المخطوط وإعادة كتابته رقنا وصفا فقط، ويكفي إضراره بالعمل أن الدراسة كاملة جاءت في 09 صفحات فقط، دون تطرق منه للنسخ المعتمدة ولا لتصوير نماذج من المخطوط المعتمد، ولا لصحة نسبة الكتاب لصاحبه[4] ولا لأي مبحث مهم في عملية التحقيق، سوى قيامه بترجمة موجزة للمقري لم تتعد السطور وذكر آثاره وبعض أعماله. ولأنه أغفل ذكر النسخ المعتمدة في التحقيق، فقد اعتمدت على ما نسخه وكتبه من متن المخطوط،

---

1: أشار محقق "طبقات الحضيكي" الأستاذ: أحمد بومزكو أن قائمة بأسماء تآليف الإمام المقري موجودة بمكتبة الزاوية الدلائية بالمغرب ولم يشر إلى كونها مخطوط أو مطبوع، ومن صاحب هذا العمل.

2: منه نسخة ثانية قد تكون مصورة عن المكتبة الوطنية الفرنسية، بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، برقم: 0670، فب. رقم تسلسلي: 24929. فن: تفسير.

3: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده، ج:2، ص: 380. وقد جعل له اثني عشرة ضابطا يجب مراعاتها عند إعراب القرآن الكريم، أكان إعراب كلمة كلمة أو إعراب إرادة بيان المعاني.

4: لأن كل كتب التراجم والببليوغرافيا التي ترجمت للمقري لم تذكر له هذا التأليف، بما في ذلك شيوخه أو طلبته أو معاصروه، وهو تفرد يتطرق له بالشك، خاصة وأن المخطوط مبتور الأول.

مع التنويه أنه لم يعتمد فروق النسخ في هامشه، مما يؤكد اعتماده على نسخة وحيدة وهي النسخة التي وصفها دوسلان، فعَملُ الطالب بدأ من حيث بدأت نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية.

قام الإمام المقري بإعراب القرآن الكريم في مصنفه هذا، وقصد إلى الكتابة فيما يُشكل من إعراب القرآن الكريم، وليس إلى إعراب القرآن كلمة كلمة،إذ لم يتطرق للمعاني بقدر تطرقه للناحية الإعرابية من الآية فقط.

وبدأ من أول سورة البقرة منتهيا بسورة الناس، ولم يكن منتقيا من السور كصنيع ابن خالويه[1] مثلا في كتابه«إعراب ثلاثين سورة من القرآن» حيث انتخب ثلاثين سورة وأعربها، كما لم يكن أيضا في عمله هذا منتقيا للغريب وإعرابه كصنيع أبي البركات ابن الأنباري[2]في كتابه«البيان في غريب إعراب القرآن»،بل يمكن القول أن صنيع المقري شبيه بصنيع مكي بن أبي طالب[3]في كتابه «مشكل إعراب القرآن» الذي قصد فيه إعراب المشكل من آيات القرآن الكريم، فقد أشار–المقري– في عناوين بعض السور أن عمله:"شرح مشكل إعراب" ثم يسمي السورة، كعبس مثلا.[4]

ومن نماذج إعرابه لألفاظ القرآن المشكلة، قوله في قوله تعالى:چ ب ب ب چ[البقرة: 253]ابتداءو چ ب چ عطف بيان، و چ بچ وما بعده الخبر.

---

1: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله: لغويّ، من كبار النحاة أصله من همذان. زار اليمن وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب، وعظمت بها شهرته،وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة. وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. وتوفي في حلب سنة:370هـ. من كتبه:"شرح مقصورة ابن دريد" و "مختصر في شواذ القرآن".انظر: "الأعلام" ج:2، ص:231.

2: عبد الرحمن أبو البركات، كمال الدين الأنباري: من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال. كان زاهدا عفيفا، خشن العيش والملبس، لا يقبل من أحد شيئا.سكن بغداد وتوفي فيها سنة: 577هـ. من كتبه:"نزهة الألباء في طبقات الأدباء " و "الإغراب في جدل الإعراب""الإنصاف في مسائل الخلاف " في نحو الكوفيين والبصريين. انظر: "الأعلام" ج:3، ص:327.

3: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية، من أهل القيروان ولد فيها، وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده وأقرأ بها.ثم سكن قرطبة وخطب وأقرأ بجامعها وتوفي فيها سنة:437هـ. له كتب كثيرة، منها "مشكل إعراب القرآن"، و"الكشف عن وجوه القراءات وعللها". انظر:"الأعلام" ج:7، ص:286.

4: إعراب القرآن، شهاب الدين أحمد المقري، تحقيق: أحمد فراجي، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية: 2006/2005م. ص: 459.

ثم يمر مباشرة لآية أخرى فيقول: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﭼكل هذه الجمل في موضع النعت المكرر لـﭽ ﮓﭼ والفتح والرفع في هذا جائز بمنزلة ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼإذ هو كله أصله الابتداء والخبر والجملة في موضع النعتلـﭽ ﮓﭼ.

ثم ينتقل لآية الكرسي إذ يقول في قوله تعالى:ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ ابتداء وخبر، وهو بدل من موضع ﭽ ﭢ ﭣﭼ وحقيقته أن ﭽ ﭡ ﭼ مبتدأ، وﭽ ﭢ ﭣ ﭼ ابتداء ثانٍ وخبره محذوف أي: الله لا إله معبود إلا هو. وﭽ ﭤ ﭥ ﭼ بدل من موضع ﭽ ﭢ ﭣ ﭼ والجملة خبر عن ﭽﭡﭼ ،كذلك قوله ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼﭽﭡﭼفي موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف وﭽ ﭤ ﭥ ﭼ بدل من موضع ﭽ ﭢ ﭣ ﭼ أو صفة له على الموضع، وإن شئت جعلتﭽ ﭤ ﭥ ﭼ خبر ﭽ ﭢ ﭣ ﭼ ويجوز النصب على الاستثناء.[1]

وقد كان الإمام المقري في إعرابه هذا مهتما بإيراد أقوال المدارس الكوفية والبصرية وأعلام كل مدرسة، مرجحا لأحكام بعضها على بعض، ليس في النحو فقط بل حتى في الصرف أيضا، كما في قوله تعالى:ﭽ ﭫﭼ: وزنها فَوْعَلة وأصلها وورية مشتقة من وري الزند، فالتاء بدل من واو، ومن ورى الزند قوله ﭽ ﭙ ﭚ وقوله:ﭽ ﭓ ﭔ ﭕﭼ،فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها هذا مذهب البصريين، وقال الكوفيون: وزنها تفعلة من وري الزند أيضا، فالتاء غير منقلبة عندهم من واو أصلها عندهم توربة، وهذا قليل في الكلام، وفوعلة كثير في الكلام، فحمله على الأكثر أولى.[2]

ومن أمثلته أيضا قوله عند إعراب قوله تعالى:ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼ[الزمر: 9]: " مَن خفَّف ﭽ ﭙ ﭚ ﭼ جعله نداء ولا حذف في الكلام، ويجوز عند سيبويه حذف حرف النداء من المبهم وأجازه الكوفيون، وقيل هو استفهام بمعنى التنبيه وأضمر معادلا الألف، تقديره: أمن هو قانت لفعل كذا وكذا كمن هو بخلاف ذلك؟ ودلَّ على المحذوف قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼوهذا أقوى".[3]

---

1: إعراب القرآن، شهاب الدين أحمد المقري، ص: 3.

2: المرجع نفسه، ص: 13.

3: المرجع نفسه، ص: 238.

بل يظهر تعمق الإمام المقري في معرفة المدارس النحوية بذكر حتى ما لا يعرف فيها، إذ يقول عند قوله تعالى:چ ڈ چ[عبس: 4]:من نصبه جعله جواب لعل بالفاء، لأنه غير موجب فأشبهه التمني والاستفهام، وهو غير معروف عند البصريين، ومن رفعه عطفه علىچ چ.[1]

واعتمد المقري ترجيحات بعض القراء عند ذكره لبعض ترجيحات النحويين استئناسا في بعض المسائل كالوقف والابتداء وغيرها، كما في قوله تعالى:چ ٹ ٹ چ[ص: 3]إذ يقول:چ ٹ چعند سيبويه مشبه بليس ولا تستعمل إلا مع الحين... والوقف عليها عند سيبويه والفراء وأبي إسحاق وابن كيسان بالتاء، وعليه جماعة القراءوبه أتى خط المصحف، والوقف عليها عند المبرد والكسائي بالهاء.[2]

كما كان يورد بعض الآثار عن السلف التي تشرح معنى الآية بعد إعرابها، وإن كان مقلا جدا من ذلك، كقوله في إعرابه لقوله تعالى:چ ج ج چ[البقرة: 258]: تعود على چ چوهو النمرود، كذا قال مجاهد،وقوله:چ □ □ □چ يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال منچ □ ثمچوهي: لا إله إلا الله، في قول ابن عباس.[3]

وقد سار الإمام المقري في مصنفه هذا غالبا على هذا النهج والأسلوب، ولم يُدخل أي فن أو علم من علوم التفسير المشتهرة.

والقصد من إيراد كل هذه النماذج، بيان تمكن الرجل من علم التفسير وسبر أغواره وفنونه، وباعه الطويل في هذا العلم، وتبقى هذه الدلائل غير كافية لبيان منهج الإمام المقري في التفسير أو منهجه وأسلوبه في التعاطي مع الآي الكريم بدقة ووضوح.

رحم الله الإمام المقري وجزاه خير الجزاء.

---

1: إعراب القرآن، شهاب الدين أحمد المقري، ص: 459.

2: المرجع نفسه، ص: 322.

3: المرجع نفسه،ص: 4.

**المحاضرة الثانية: أبو زكريا يحي بن الفقيه محمد النايلي الشاوي[1] المليانى ت: 1096هـ.**

يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله، أبوزكرياء الشاوي المليانى الجزائري، من فقهاء المالكية، ولد بمليانة[2] وتعلم بالجزائر، وأقام مدة بمصر في عودته من الحج سنة 1074هـ وتصدر للإقراء بالأزهر، ثم رحل إلى سورية والروم ومات في السفينة راحلا للحج، ونقل جثمانه إلى القاهرة سنة:1096هـ.

حلَّاه صاحب «خلاصة الأثر»بالقول:"الشيخ الإمام العمدة الرِّحلة الـمُـفَسِّر،آية الله تعالى الباهرة فى التفسير والمعجزة الظاهرة فى التَّقرِير والتحرير[3]، وهو في الفقه إمامه ومن فمه تؤخذ أحكامه [4]، وذكره أبو المواهب في مشيخته بـ"المفسِّر الجامع بين العلوم النافعة".[5] تتلمذ على**شيوخ** كثر في غالب الحواضر العلمية التي زارها كالشيخ محمد أبهلول المفسِّر بزاويته بمجاجة، والشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي[6]، وسعيد قدورة بالجزائر، وأخذ عن الشمس البابلي بالقاهرة وغيرهم[7]، ولم

---

1: ذكر الكتاني أن لقب الشاوي كان تسمية لا نسبًا فأصله ملياني،وأن الشيخ محمود بن سعيد مقديش الصفاقسي ذكر في ترجمته في كتاب«نزهة دائرة الأنظار في علم التواريخ والأخبار»:أنه ولي مشيخة الجامع الأزهر. انظر:"فهرس الفهارس"ج:2، ص: 1132/ 1134.

2: مِلْيَانَةُ:بالكسر ثم السكون، وياء تحتها نقطتان خفيفة، وبعد الألف نون: مدينة في آخر إفريقية، بينها وبين تنس أربعة أيام، وهي مدينة رومية قديمة فيها آبار وأنهار تطحن عليها الرحى جددها زيري ابن مناد وأسكنها بلكّين. انظر:"معجم البلدان"ج:5، ص: 196.

3: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي،دار صادر، بيروت،دط، دت، ج:2، ص: 138.

4: تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي، ج:1، ص: 677.

5: مشيخة أبي المواهب الحنبلي، أبو المواهب الحنبلي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، سوريا، ط:1، ت: 1990م، ص:91.

6: علي بن عبد الواحد بن محمد، أبو الحسن، الأنصاري السجلماسي الجزائري، من سلالة سعد بن عبادة الخزرجي: فقيه مالكي، من العماء ولد بتافلات، ونشأ بسجلماسة وأقام بمصر مدةواستقر بفاس، فنصب مفتيا في الجبل الأخضر، وتوفي في الجزائر. من كتبه: "المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية " وغيرها. انظر:"الأعلام"ج:4، ص: 309.

7: محمد بن علاء الدين البابلي، شمس الدين، أبو عبد الله، فقيه شافعيّ، من علماء مصر، ولد ببابل من قرى مصر ونشأ وتوفي في القاهرة سنة:1077هـ. كان كثير الإفادة للطلاب، قليل العناية بالتأليف. له كتاب:"الجهاد وفضائله" ألجئ إلى تأليفه. وعمي في منتصف عمره. ولتلميذه عيسى بن محمد المغربي كتاب"منتخب الأسانيد" وهو فهرست لمرويات صاحب الترجمة وشيوخه وسلسلاته. انظر:"الأعلام"ج:6، ص: 270، و"فهرس الفهارس"ج:3، ص: 337.

تذكر المصادر التاريخية أي علوم أخذها عن مشايخه هؤلاء، ومن أشهر من تتلمذ على يديه، المحبي[1] صاحب «خلاصة الأثر» وأبو المواهب الحنبلي[2] وأحمد قاسم البوني أحد أعلام التفسير في القرن الثاني عشر الذي كان يشيد بشيخه أبي زكريا في مؤلفاته.

له تصانيف وتآليف بين حواش وشروح منها:«توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد»[3]وحاشية على «شرح أم البراهين»[4] للسنوسي، ورسالة في «أصولالنحو»[5]، و«شرح التسهيل لابن مالك»[6]، وحاشية على «شرح المرادي»، و«رسالة في المصافحة»[7]، و«لامية»[8] منظومة في إعراب الجلالة جمع فيها أقاويل النحويين، وغيرها كثير أتى على ذكرها نويهض في معجمه[9]، وقد تولى التدريس والإقراء بالأزهر الشريف وبمدرسة الأشرفية[10].

---

1:محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي، الحموي الأصل، الدمشقيّ، مؤرخ، باحث، أديب. عني كثيرا بتراجم أهل عصره، فصنف"خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، ولد في دمشق وسافر الى الأستانة وبروسة وأدرنة ومصر، وولي القضاء في القاهرة، عاد إلى دمشق فتوفي فيها سنة:1111هـ.انظر:"الأعلام" ج: 6، ص: 41.

2:محمد بن عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي البعلي الدمشقيّ، أبو المواهب، مفتي الحنابلة بدمشق، مولده ووفاته بها. زار مصر سنة 1072هـ أصله من بعلبكّ، له ثبت في أسماء مشايخه وتراجمهم سماه "فيض الودود" ورسائل في تفسير بعض الآيات، وكتابة على صحيح البخاري. توفي سنة: 1126 هـ. انظر: "خلاصة الأثر" ج:1، ص: 146، و"الأعلام" ج:6، ص: 184.

3: منه نسخة بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة بتونس، برقم حفظ: 1305/14/3-1306. ونسخة ثانية بالمكتبة المركزيةبالمملكة العربية السعودية، برقم حفظ:3962.

4: منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس برقم حفظ: 4582، وذكروا أنها تقييد على صغرى السنوسي.

5: منه نسخة بالمكتبة المركزيةبالمملكة العربية السعودية، برقم حفظ:4492 عن شستربيتي.

6: ورد في فهرس الأزهرية أن نسخة معنونة بحاشيه الشاوي على توضيح مقاصد الالفية برقم الحفظ:[463]..2987. قلت: قد تكون هي.

7: منه نسخة بمكتبة الدولة بألمانيا، برقم حفظ: 1607-1608.

8: منه نسخة بمكتبة الدولة بألمانيا، برقم حفظ: 6753، ونسخة ثانية بالمملكة العربية السعودية، بالمكتبة المركزية، برقم: 4492 عن شستربيتي.

9: انظر: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 186.

10: تقع المدرسة الأشرفية بشارع المعز لدين الله الفاطميفي قلب القاهرة، وتسمى بالمدرسة الأشرفية نسبة إلى صاحبها السلطانالأشرف برسباي الدقماتي الظاهري، الذي أمر بإنشائها في شارع المعز لدين الله الفاطمي، بالقرب من حي الصاغة، على أنقاض بعض الحوانيت،وكانت من ورائها ساحات هدمت لإنشاء هذه المدرسة، وتعتبر من أعظم المدارس المملوكية.انظر: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" للمقريزي،ج:4، ص: 146.

وكذا بالمدرسة السليمانية[1] والصرغتمشية[2] وغيرها بالقاهرة التي أقام فيها حلقاته في «مختصر خليل» و«شرح الألفية للمرادي»، و«عقائد السنوسي» و«شرح جمل الخونجي» لابن عرفة في المنطق[3]، ثم بالجامع الأموي بدمشق[4] الذي دَّرس فيه التفسير حيث يقول تلميذه أبو المواهب في ترجمته:" فمرَّ على دمشق وألقى فيها العلوم من الحديث والتفسير والتصوف وعلوم العربية من الدروس العامة والخاصة".[5]

كما درَّسَ بالآستانة ببلاد الروم، فقد ذكر تلميذه المحبي في «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»[6]أنه أخذ عنه العلوم بالروم –اسطنبول–حين وردها ثانيا، وأنه دَرَسَ عليه سورة الفاتحة من تفسير «أنوار التنزيل» للبيضاوي وأنه أجازه بها، ثم أورد نص الإجازة إذ يقول: وقد كتب لي إجازة بخطه، هاهي مزينة بضبطه:الحمد لله الحميد، والصلاة والسلام على الطاهر المجيد، وعلى آله أهل التمجيد:

أجَزْتُ الإمامَ اللَّوْذَعِيَّ المعبّرَا *** أمِينا أمينَ الدِّين رُوحاً مُصـــوَّرَا

سلِيلُ مُحِبِّ الدِّين بيتُ هدايةٍ *** وبيتُ مَنَارِ العلم قِدْماً تقـــرَّرَا

بإقْرائه متنَ البُخارِي الذي به *** تقاصَر عنه مَن عَداهُ وقَصَّـــرَا

مُوَطَّا شِفاءٌ والشِّفاءُ كمُسْلِمٍ *** إذا مُسْلِماً تُقْرِيه حَقَّاً تصـــدَّرَا

---

1: عمَّرها الأمير سليمان باشا عام 920هـ–1543م. استعملت هذه التكية للقادرية وبها ضريحان لبعض شيوخهم في القرن العاشر، أحدهما الشيخ إبراهيم، والآخر للشيخ عبد الرسول، والتكية:عمائر دينية خاصة لإقامة المنقطعين للعبادة من المتصوفة ومساعدة عابري السبيل، وتعتبر التكية من المنشآت الدينية التي حلَّت محل "الخنقاوات" المملوكية في العصر العثماني.

2: كانت بناياتها عبارة عن عدّة مساكن، فأخذها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصريّ وهدمها، وابتدأ في بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة 756، وانتهت في جمادى الأولى سنة 57، وقد جاءت من أبدع المباني وأجلها وأحسنها قالبا وأبهجها منظرا. انظر: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" للمقريزي،ج:4، ص: 264.

3: تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي، ج:1، ص: 678.

4: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي،ج: 4، ص: 487.

5: مشيخة أبي المواهب الحنبلي، أبو المواهب الحنبلي، ص: 91.

6: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد أمين المحبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط:01، ت:1971م، ج:5، ص:47–48.

وباقي رجالِ النَّقْلِ حَقَّاً مُبَيّناً *** وتفسيرُ قَوْلِ الله في الكُلِّ قدَّرَا

## صلته بالتفسير وعلومه:

خدم الإمام الشاوي التفسير وعلومه بمؤلفه المشهور «المحاكمات»[1]، الذي جعله في المحاكمة بين أئمة التفسير الثلاث، أبو حيان الأندلسي وابن عطية والزمخشري، وذكر فيه اعتراضات أبي حيان على ابن عطية والزمخشري.[2]

وله «تعليقة على آية التنزيه»، وهو تعليق على طريقة المتكلمين في شرح وتفسير قوله تعالى: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[الشورى: 11]. ولم يذكرها كل من ترجم له وذكر أعماله، وقد عثرتُ عليها وعلى نسختها الوحيدة بزاوية العائلة العثمانية بطولقة ولاية بسكرة[3]، وتقع ضمن مجموع فيه خمسة عناوين، جاءت عدد لوحاتها في 13 لوحة، كُتب في لوحتها الأولى تعريف موجز بالإمام الشاوي بخط محمد مرتضى الزبيدي صاحب «القاموس»، ولقَّبه فيها بشيخ مشايخنا.

وجاء هذا التعليق على آية التنزيه مصبوغا بصبغة أهل الكلام والمنطق، مكثرا من مصطلحاتهم وأقوالهم وشروحاتهم الكلامية الفلسفية، خائضا في مسائل الاعتقاد والفرق، وهو بهذا الوصف تأليفٌ في التوحيد والاعتقاد لا في التفسير.

ومن خلال كتابه «المحاكمات»[4] الذي اعتبره البعض حاشية على تلك التفاسير الثلاث[5]، يمكن إدراج هذا التصنيف ضمن التفاسير النحوية، حيث اعتمد صاحبه الصناعة النحوية أساسا لتبيين

---

1: أخرجه الأستاذ محمد عثمان، وطبع بدار الكتب العلمية ببيروت، والكتاب يحتاج لإعادة إخراج، فلم تكن الطبعة المشار إليها علمية بقدر ما كانت تجارية صرفة، يكثر فيها التحريف والتصحيف للألفاظ والمعاني. وقد قام الباحث عبد القادر مغدير، بتحقيق الكتاب رسالة دكتوراه، بقسم اللغة العربية بجامعة السانية بوهران سنة:2006م، تحت إشراف الدكتور: المختار بوعناني.كما أعد الباحث: مصطفى الغماري بجامعة الجزائر المركزية السور الخمس الأولى من المحاكمات للشاوي،كرسالة دكتوراه، أجيزت سنة : 2000م.

2: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب المصرية، بيروت، ط:1، ت:2009م، ج:1، ص: 17.

3: ساهم في هذا التنبيه لهاته المخطوطة الأستاذ الكريم: سعد عثماني، القائم بشؤون المكتبة والذي يعمل حاليا على فهرست مخطوطاتها والتي تقدر بأكثر من 1600 مخطوط، فله كل الشكر والتقدير.

4: اعتمدتُ في الإحالة على المطبوع، ولكثرة التصحيف والتحريف الواقع فيه، اضطررت للرجوع إلى المخطوط في أغلب المواضع، والمخطوط المعتمد هو نسخة الأزهرية رقم: 340244 عدد لوحاته :316.

المعاني، والتي قد يتغير المعنى فيها أو يُثبت بحسب إعراب الآية وبنيتها النحوية، على قاعدة أن تفسير المعنى يستلزم إيضاح المبنى، وهو استلزام ليس بمطرد[1]، إذ قد "يقع في كلامهم، هذا تفسير معنى وهذا تفسير إعراب، والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا تضره مخالفة ذلك".[2]

وقد عمد الإمام الشاوي لاعتراضات أبي حيان النحوية على الزمخشري وابن عطية[3] في تفاسيرهم، فكان يورد الآية القرآنية الكريمة فالشاهد منها، ثم كلام الزمخشري وابن عطية، ثم اعتراض أبي حيان عليهما في تلك المسألة النحوية ويقوم إما بالموافقة أو المعارضة.

وقد وصف الدكتور إبراهيم رفيدة عمل الشاوي بالقول:"كما كان يبدي فيه كثيرا من النقاش والملاحظات القيِّمة حول ردود أبي حيان عليهما، وهو منصف في موقفه منهم، يبدو عليه الانتصار في كثير من المواضع لابن عطية والزمخشري خصوصا الأول منهما، وهو كتاب لطيف واضح".[4]

**قلتُ**: وليس كما زَعم من انتصار الشاوي في غالب الكتاب للزمخشري خصوصا وابن عطية عموما، بل كان متقاربا جدا في اعتراضاته بين الثلاث، يبرِّر لابن حيان بعض اعتراضاته على الزمخشري وابن عطية موافقة منه عليها، كما قد يخالفه موافقة للزمخشري وابن عطية، ويخالف الزمخشري وإن وافقه ابن حيان وابن عطية، وعلى هذا النهج سار غالب الكتاب.

ومن أمثلة مناصرته للزمخشري والرد على اعتراضات ابن حيان عليه، ما ذكره عند الكلام في قوله تعالى:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[البقرة: 2]إذ يقول:" قوله تعالى:ﭽ ﭒ ﭔ

5: كالحضيكي إذ يقول:" له حاشية على التفسير سماها المحاكمة". انظر "طبقات الحُضيكي"،ص: 609.

1: يقول السيوطي في معنى ذلك: "قد يتجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر والإعراب يمنع منه، والمتمسَّك به صحة المعنى، ويؤول لصحة المعنى الإعراب، وذلك كقوله تعالى:ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼفالظرف الذي هو ﭽ ﮑ ﭼيقتضي المعنى أنه يتعلق بالمصدر وهو رجع، أي أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر، لكن الإعراب يمنع منه، لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله، فيجعل العامل فيه فعلا مقدرا دل عليه المصدر". انظر:"الإتقان في علوم القرآن" ج: 2، ص: 320.

2: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط:1، ت: 1394هـ/ 1974م، ج:2، ص: 320.

3: أشار للزمخشري بحرف "ز"،وابن حبان بحرف "ح" ، وابن عطية بحرف"ع" ولكلامه هو بحرف"ت".

4: النحو وكتب التفسير، إبراهيم رفيدة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط:3، ت: 1990م، ص: 946.

**چ** -ز-: لم يقدم الخبر كما في قوله تعالى:**چ ئې ئى ئى چ**لئلا يوهم أن غير القرآن فيه ريب كما هو المقصود في **چ ئې ئى ئى چ** أي: في خمر الجنة، بخلاف خمر الدنيا.

-ح-: انتقل -ز- من الاختصاص بتقديم المفعول إليه بتقديم الخبر، ولا نعلم فارقا بين ليس رجل في الدار وعكسه، على أن العرب وصفت خمر الدنيا بالاغتيال. قال علقمة بن عبيدة:

يشفي الصداع ولا يؤذيك جالبها *** ولا يخالط بها في الرأس تدويم

-ت-: لم ينفرد الزمخشري بما في ذكر الخبر، وكل من رأينا كلامه من البيانيين على هذا، ومن ثَمَّ كان عند ابن مالك مسوغا، فلا محل للرد عليه في مثل هذا".[1]

ومن أمثلة انتصاره للزمخشري ورده على اعتراض ابن حيان عليه واتهامه بالاعتزال، مع الإقرار بفساد كلام الزمخشري، كلامه في قوله تعالى: **چ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ چ**[إبراهيم: 47]إذ يقول:"قوله تعالى:**چ ڱ ڱ ں چ**: -ز-: قدَّم المفعول الثاني ولم يقل مخلف رسله وعده، بل قدم الوعد ليُعلم أنه لا يخلف الموعد أصلا كقوله: **چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ی ی بج بح بخ بم بى چ**[آل عمران: 9]ثم قال:**چ ں ڻ چ** ليعلم أنه لم يخلف وعده أحدا، وليس من شأنه إخلاف المواعيد، كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته!؟ .

-ح-: هذا جواب على طريقة الاعتزال في أن ما وعد الله واقع لا محالة، فمن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلا، ومذهب أهل السنة أن كل ما وَعَدَ من العذاب للعصاة المؤمنين مشروط إنفاذه بالمشيئة[2].

-ت-: قول -ز- إذا كان لا يخلف وعده أحدا فاسد، لأن تقديم الثاني لا يجعل الأول المذكور بعده نسيا، حتى يجعل في قوة عموم مترقيا منه إلى أخروية الخاص، وقول -ح- هو جارٍ على طريقة الاعتزال غير مسلم، لأن سياق الآية في وعد الرسل بالانتقام من مخالفهم ممن كفر بهم، والإجماع على عدم إخلاف الوعد للرسل بوعيد الكافرين، ثم إن إخلاف الوعد محال في حق الله حيث تحتم،والمقيد

---

1: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج: 1، ص:19.

2: في المطبوع: بشروط إنفاذه بالسيئة، والصواب ما أثبته من المخطوط.

بالمشيئة، حيث لم يشأ لا يعد إخلافا فلا إخلاف وعد أصلا، فكيف يقال أن عدم إخلافه طريقة إعتزالية إذ يقتضي كلامه بالصريح أن طريقة أهل السنة صحة إخلافه، وذلك مستحيل عقلا وشرعا فتأمله ".[1]

ويتعرض الإمام الشاوي لمذهب الزمخشري الإعتزالي ذما وقدحا وتشهيرا وتحذيرا، إذ يقول:" وهذه الدسائس البعيدة الفور توجب النفرة عن كتابه، والسير فيه كالماشي في أرض الأفاعي، يبعد سلامته مع شدة البصيرة والحفظ، ولا أقل من المخافة في كل محل وسلوك طريق إلا من متعين".[2]

ومن أمثلة رده على الزمخشري وموافقته اعتراض ابن حيان، كلامه في قوله تعالى:ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﭼ[المائدة : 4] إذ يقول:"قوله تعالى:ﭽ ﭪﭼ –ح–: اشتقاق هذه الحال من الكلب، وإن كانت الجوارح أعم تغليبا لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلب، فاشتقت من لفظه لكثرة ذلك في جنسه، وقيل لأن الغالب من صيدهم أن يكون بالكلاب، أو اشتقت من الكَلَبِ وهو الضَّرَاوة يقال: هو كَلِبٌ بكذا أي ضاريا به.

–ز–: أو لأن السَّبُعَ يسمى كلبا ومنه قول عليه الصلاة والسلام: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، فأكله الأسد.

–ح–: لا يصح هذا الاشتقاق، لأن كون الأسد كلبا هو وصف فيه، والتكليب من صفة المعلِّم والجوارحِ[3] هي سبَاعٌ بِنفسها لَا بِجعل المعَلِّمِ.

–ت–: معنى كلام –ح– أن الكلبية غير التكليب، فالتكليب بفعل فاعل بخلاف الكلبية، وأيضا يبطل كلام –ز– من وجه آخر وهو تسمية الأسد كلبا لا يوجب الاشتقاق للجوارح ولو بالتغليب لأنه ليس ما يصطاد به، فتأمله فإنه عجيب".[4]

---

1: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج: 1، ص: -197-198.

2: المرجع نفسه، ج:2، ص: 198.

3: في المطبوع: الجوار، دون تتمة كلام ابن حيان، والصواب ما أثبته من تفسير«البحر المحيط»، ج: 4، ص: 179.

ومن أمثلة عدم موافقته لرأي ابن حيان وانتصاره لابن عطية كلامه في قوله تعالى:چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ چ[الرعد: 43]إذ يقول:" قوله تعالى: چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ چ

-ح-: الكتابُ اللوحُ المحفوظ،چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ چقيل هو الله تعالى، قاله الحسن، قال: لا والله ما يعني إلا الله، وقاله ابن جبير والزجاج، والمعنى :كفى بالذي لا يستحق العبادة إلا هو، وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيني وبينكم.

-ع-: فيه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز، إنما نعطف[1] الصفات بعضها على بعض.

-ح-: ليس كما زعم، لأن من لا يوصف بها ولا بشيء من الموصولات إلا الذي والتي وفروعهما وذو وذات الطائيتين[2].

-ت-: هذه مغالطة أو غلط، لأن -ع- لم يجعله صفة صناعية، لتصريحه بأنه معطوف والمعطوف ليس نعتا بل مراده الصفة المعنوية، وقصده الإشارة إلى أن العطف لا بد فيه من المغايرة، والصفة لا تغاير الموصوف من حيث ذاته فلا يعطف عليه، فلا يقال جاء زيد والطويل ونريد بالطويل زيدا، لأن ذلك مغايرة بين زيد والطويل، بخلاف ما إذا ذكرتَ الأول موصوفا بصفة ما نحو غافر الذنب وقابل التوب، والله لا يغاير من عنده علم الكتاب إذ هو هو، والصفة لا تغاير الموصوف من حيث ذاته، نعم إن قُيِّد الموصوف بوصفٍ منطوق به أو منوي صحَّ العطف، كأن يقال هنا باعتبار الألوهية التي هي استحقاق العبادة،فتلخص فيه معنى الوصف فيصح العطف، أي كيف بمستحق العبودية ومن عنده علم الكتاب كما قدره به الشيخ صح العطف فالجواب إنما يكون عن إشكال".[3]

بل ويبيّن تناقض ابن حيان في بعض اعتراضاته، كما في كلامه عند قوله تعالى:چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ چ[الأعراف : 18]إذ يقول:" قوله تعالى:چ ﮗ ﮘ ﮙ چ: -ح- :

---

4: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج: 1، ص: 224.

1: في المطبوع: إنما نقطف، والصواب ما أثبته من المخطوط.

2: في المطبوع: وذوو ذات الطافية، والصحيح ما أثبته من المخطوط.

3: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج: 1، ص:435.

قرأ الحجدري وعصمة عن عاصم بكسر اللام، -ع-: أي لأجل من تبعك چ ںچ-ح-: ظاهره تعليق المجرور بچںچ ومذهب الجمهور منعه لأن ما بعد لام القسم لا يعمل فيما قبلها -ت-: تأمل حين ذكره -ز- عارضه بعدم التسليم لأنه مختلف فيه وحين أوهمه كلام -ع- أشار لمذهب الجمهور كما قاله -ز-، والله أعلم.

بل تعجبه منه في وقوفه أمام الألفاظ دون اعتبار للمعاني إذ يقول عند الكلام في قوله تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[المائدة : 104]:" والتوقيف على الفعل مذكور في كلام النحويين كثير وكيف ينكر، وغاية ما فعل إضافة المعنى الدال عليه، وعجبت من الشيخ -ح- يقع منه كثيرا إنكار التسمية الواضحة، وذلك من الوقوف دون اعتبار المعاني، وهو جمود مع المعتاد".[1]

وبهذا النَّسق سار الإمام الشاوي في كتابه «المحاكمات»، ولم يتطرق لبقية فروع علم التفسير أو علوم القرآن كالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغيرها من العلوم، وكان لا يتطرق لها إلا في مسارها النحوي وإرادة الجانب النحوي منها، فلم يكن في كتابه هذا ممارسا لتفسير الآيات القرآنية بقدر ما كان مبينا لمبانيها النحوية، لذا فإنه لم يكن حافلا بمسائل التفسير وعلومه،كصنيعه في القراءات مثلا، حيث أورد قراءة عامة القراء لقوله تعالى:چٹ ٹ ٹ ٹچبالرفع في السارق والسارقة على الرغم من قراءة عيسى بن عمر[2] و[3] بن أبي عبلة[4] بالنَّصب على الاشتغال وهو ترجيح سيبويه

1: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج: 1، ص:119.

2:الإمام، المقرئ، العابد، أبو عمر الهمداني، الكوفي، عرف: بالهمداني، وإنما هو من موالي بني أسد. وثقه: ابن معين، وغيره. وكان مقرئ الكوفة في زمانه بعد حمزة ومعه.قال الثوري: ما بها أقرأ منه. قال مطين: مات سنة ست وخمسين ومائة.انظر: "سير أعلام النبلاء" ج:7، ص: 199-200.

3: ما وجدته في المطبوع: عيسى بن عمر بن أبي عبلة، والصواب أنه عيسى بن عمر وابن أبي عبلة وأنهما شخصيتان مختلفتان.

4: إبراهيم بن أبي عبلة، الرملي المقدسي، ولد بعد 60هـ ومات سنة 152هـ. يقول ابن عبد البر:" واسمه شمير بن يقظان بن المرتحل، معدود في التابعين رأى ابن عمر وأدرك أنس بن مالك وأبا أمامة وروى عنهم، سكن الشام وعمر طويلا ومات في خلافة أبي جعفر، وكان ثقة فاضلا له أدب ومعرفة وكان يقول الشعر الحسن ". انظر:"الاستيعاب" ابن عبد البر، ج:1، ص: 115.

لها، ثم يقول: والوجه في كلام العرب النصب، ثم أورد اعتراض الرازي على كلام سبيويه وأنه خروج عن قراءة متواترة[1]، ولم يزد في القراءات عن هذا الحد، وهو أسلوب غالب الكتاب مع علوم التفسير.

يظهر جليا بصمة الإمام الشاوي في التفسير بمصنفه هذا، وأن شخصيته التفسيرية كانت حاضرة، استدراكا وتصحيحا وموافقة، وأن جهده المبذول في المحاكمة بين الإئمة الثلاث يعتبر جهدا تفسيريا مباركا، ذا بصمة راقية وقوة علمية مباركة.

1: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج:1، ص: 232.

**المحاضرة الثالثة: محمد بن أبي القاسم بن رجيح بن محمد بن عبد الرحيم، أبو عبد الله الهاملي الحسني ت:1315هـ.**

الشيخ الإمام أبو عبد الله الهاملي، من أبرز شيوخ الطريقة الرحمانية الخلوتية البكرية، ومؤسس الزاوية القاسمية الهاملية بالجزائر ولاية المسيلة دائرة بوسعادة، ولد أول محرم سنة:1239هـ بالبادية بالقرب من حاسي بحبح في مكان اسمه الحامدية، حلَّاه الإمام الحفناوي تحلية جليلة القدر واسعة الثناء معطرة بالمدح حتى بلغ مبلغ الإطراء والمبالغة، قال فيها:" سيدنا شيخ الإسلام مقتدى الأولياء العظام، علم الهدى الذي من انتمى إليه كان من السعداء، القطب الرباني والفرد الجامع الصمداني، العلامة الإمام والقدوة الهمام شيخ المالكية شرقا وغربا، قدوة السالكين عجما وعربا، مربي المريدين كهف السائلين سيدي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيح بن الولي العارف بالله سيدي محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن المنصور الشريف، الحسني نسبا، المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا، الرحماني طريقة، الهاملي مسكنا، الجزائري إقليما".[1]

1 : تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي، ج:1، ص: 337/336.

كما حلَّاه نويهض في معجمه بالقول:" فقيه له مشاركة في علوم الحديث والكلام والتاريخ والأخلاق والتفسير ".[1]

كان صاحب كرامات يرونها عنه رحمه الله، واشتهر بها، يقول الحفناوي:" هو أحد من أظهره الله إلى الخلق وصرفه في الوجود ومكنه من أحوال النهاية في إضافة أسرار الولاية، وخرق له العادات وأظهر على يديه الأحوال الخارقات وأنطقه بالمغيبات وأجرى على لسانه الحكمة وملأ القلوب بمحبته والصدور بهيبته وكان رضي الله عنه ما دعا إلا أجيب ولا عاد مريضا إلا عوفي إن كانت له بقية من الأجل، ولا نظر بعين الرضى إلى قلب خرب إلا عمر ولا عكسه إلا خرب، أعاذنا الله من ذلك، وما وقع نظره على عاص إلا أطاع ولا على ناسٍ إلا استيقظ ولا مر بأرض مجدبة إلا أنبتت، ولا دعا في شيء بالبركة إلا وظهرت شواهد الإجابة، وهو أحد من جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة".[2]

**قلتُ**: وقد أحجمتُ عن تتمة ما حلاه وزكاه به، لقربها من التزكية المفرطة متوغلا فيها، بما يمس قدر الشيخ ويشينه، انظر –رحمك الله– إلى الغلو في الأشخاص، الذي يذهب رونق الحقيقة ويطفئ وهجها، ويورث شكا في تقبل بعض هاته الكرامات وإن كانت حقيقة.

نشأ الإمام الشيخ الهاملي على محبة العلم، وفي السنة التي دخل فيها الاحتلال الفرنسي الجزائر بدأ حفظ القرآن الكريم فأتمه، ثم انتقل سنة 1253هـ 1837م إلى زاوية علي الطيار تازروت بلدية القصور ولاية برج بوعريريج رفقة أخيه لمواصلة طلب العلم، فأتقن القراءات السبع وفن التجويد على يد أحد شيوخ الزاوية المسمى سي الصادق[3].

ثم ارتحل في طلب العلم إلى بلاد كثيرة، مشرقا ومغربا، وفي سنة: 1260هـ/1844م أراد الشيخ الالتحاق بصفوف المقاومة بجيش الأمير عبد القادر إلا أن هذا الأخير رفض ورأى أنه من الأفضل له مواصلة تعلمه والقيام بمهمة التعليم والإرشاد والتوجيه، وفي السنة نفسها نزل بزاوية السعيد بن أبي داود بزواوة، لتعلم الفقه والنحو وعلم الكلام والفرائض والمنطق وغيره، وبرز في ذلك.

---

1: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 335.

: تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي، ج:1، ص: 2.338/337

: لم أجد ترجمته.3

وفي السنة الثانية من إقامته بالزاوية كلَّفه شيخه بتدريس المبتدئين، وفي السنة الرابعة عينه مناوبا له في الدرس، وفي السنة الخامسة أمره بالتدريس في زاوية ابن أبي التقى قرب برج بوعريريج، وقام بمهمته أحسن قيام، وترك هناك أثرا طيبا وذكرا حسنا.

وفي نهاية السنة الخامسة اجتمع ثلاثة من أعيان أشراف الهامل هم :محمد زيان الشريف، إبراهيم بن الحاج، أبو الأجدل بن عمر، بالشيخ أحمد بن أبي داود وطلبوا منه السماح للطالب محمد بن أبي القاسم بالرجوع معهم إلى قريتهم ونشر العلم هناك، بإذن منهم فكان لهم ما أرادوا، وكتب الشيخ أحمد بن داود جوابا للشيخ يأمره بالتدريس ببلدته، وعاد الطالب إلى بلده وذلك سنة: 1265هـ/1848م.

وقد كان للشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي دور كبير في دعم المقاومة الشعبية المسلحة لاسيما مقاومة المقراني، ففي سنة 1871م، ساهم بشكل كبير بدعم الثورة بالرجال والسلاح، وبعد الهزيمة أحضر أبناء الزعيم المقراني وحوالي ثمانين عائلة من الذين تضرروا من اضطهاد سلطات الاحتلال، وأقاموا بالزاوية معززين مكرمين، ولا يزال "حي المقارنة "بالقرية شاهدا على ذلك.

ابتدأ الإمام الهاملي التدريس ببلدته الهامل، وانكب على إعطاء الدروس المتنوعة في كل الفنون الشرعية، حتى صار يقصد له من الحواضر الداخلية والخارجية لطلب العلم الشريف والاستزادة من علمه وسمته، يقول الحفناوي:" وانهالت له الخلق من كل جهة لطلب العلم، وحصل به النفع الكثير، وكان يحضر درسه في الفقه نحو ثمانين تلميذا أو أكثر، وكانت مؤونة الطلبة في هذه السنوات من عنده".[1]

ثم شرع الشيخ سنة:1279هـ في بناء زاويته بقرية الهامل، وأتمها أول محرم: 1280هـ، وفي السنة التي تلتها شرع في بناء مسجد للطلبة والإخوان ولدروس الفقه وغيره، وذاعت شهرة الشيخ في المناطق المجاورة، فقصد الزاوية الطلبة من كل مكان من كالمدية، تيارت، شرشال، سطيف، المسيلة، الجلفة، الأغواط وغيرها من المناطق الداخلية خاصة.

: تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي، ج: 01، ص: 1.340/339

وتوافد على الزاوية الأساتذة والعلماء من جميع الجهات، وتحولت إلى مركز لقاء بينهم ومنتدى علمي ثقافي يؤمه خيرة علماء البلد. وصفها أحد الشيوخ فقال:" كانت الزاوية المعمورة محلا للعلماء العاملين "، وكان يرتادها في هذه الفترة ما بين 200 و300 طالب سنويا، يدرسهم 19 أستاذا على رأسهم الشيخ نفسه.[1]

من شيوخه الذين أخذ عنهم أحمد بن أبي داود[2]، والشيخ المختار بن عبد الرحمن بن خليفة الإدريسي الخالدي الجلالي.[3]

توفي الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي على الساعة الثانية زوالا من يوم الأربعاء أول محرم: 1315هـ الموافق لـ 02 جوان1897م عن عمر يناهز 73 سنة، ودفن صباح يوم الخميس 02 محرم على الساعة العاشرة صباحا، وحضر جنازته جمع غفير من العلماء والشيوخ و المواطنين، وكانت مدة إقامته بزاويته منذ بناها إلى أن توفاه الله نحو من سبع وثلاثين سنة، ودفن بمسجده بالهامل.

**صلته بالتفسير وعلومه:**

خدم الإمام الهاملي التفسير تدريسا وتأليفا، فقد ذكر الحفناوي في ترجمته أن للإمام الهاملي درسا ومجلسا خاصا بالتفسير كان يعقده بالمسجد العتيق والمسمى بمسجد التوتة، إذ يقول:" وابتدأ من التفاسير بتفسير الواحدي ومن كتب الحديث بشرح العارف بالله سيدي عبد الله بن أبي حمزة"، ويظهر جليا أن حلقته التفسيرية كانت في شرح تفسير الواحدي (ت:468هـ)، ولكن لم يظهر لي أي التفاسير التي قام بشرحها لطلبته، إذ معلوم أن للواحدي ثلاثة تفاسير، الوجيز والوسيط والبسيط، وزاد بعضهم رابع اسمه: الحاوي، وعبارة الحفناوي مبهمة.

---

1: تمت الاستعانة ببعض المواقع الإلكترونية، منها مقال في موقع وكيبيديا، الرابط: https://ar.wikipedia.org/

2: الشيخ أحمد بن أبي داود، هو أحمد بن أبي القاسم بن السعيد بن عبد الرحمن بن محمد وينتهي نسبه إلى سليمان بن أبي داود، ولذا عرف بـ"أحمد بن أبي داود" ولد سنة: 1235هـ، وأخذ العلم عن والده أبي القاسم بن أبي داود ت1255هـ/1838م تولى التدريس بزاوية بن أبي داود وهو ابن عشرين سنة، وظل مدرسا بها إلى وفاته، أي مدة 25 سنة ينشر العلوم الشرعية خصوصا الفقه والتفسير والحديث. توفي يوم 6 جمادى الأولى عام1280 هـ1861/م.

3 : ولد بقرية سيدي خالد سنة: 1201هـ/1784م، حفظ القرآن في سن مبكرة وتفقه على جلة من العلماء وبرز في العقائد وعلم الكلام، أسس زاوية أولاد جلال التي عرفت شهرة واسعة في ظرف وجيز، اشتهر بالورع ونشر العلم، كما اشتهر بقدرته في التأثير على قلوب سامعيه، توفي في 19 ذي الحجة من سنة: 1277 هـ/أكتوبر1862 م.

**قلتُ**: وأرجح تفسيره الوجيز، لما فيه من وجازة واختصارات، خاصة أن الإمام الواحدي ألَّفه بطلب من طلبته، وأبان عن نيته في مقدمته وأنه يصلح للمبتدئين من طلبة العلم والمريدين للتفسير، والله أعلم.

وفي غياب المادة العلمية، لا يمكننا الحكم على طريقة شرحه وهل كان شرحا مسهبا أم موجزا، ولم يذكر طلبته طريقة تدريسه ومنهجه في تناول الآيات القرآنية، أكان متبعا للواحدي أو مستدركا مصححا، وغيرها من القضايا التي تطرق في هذا الباب.

كما خدم الإمام الهاملي التفسير تأليفا، حيث ذكر من تصانيفه "رسالة في تفسير سورة القدر"، وهي مخطوطة حاولت جاهدا الوصول إليها لكن دون جدوى، وفي غيابها لا يمكن بيان منهج الشيخ في التعامل مع الآي القرآني الكريم، ولا بيان طريقته وأسلوبه في ذلك، وإنه لمكسب كبير لو نجد هاته المخطوطة ويقوم أحد الباحثين بإخراجها لعالم النور والطباعة.

**المحاضرة الرابعة: محمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن الخوجة ت:1333هـ/1915م.**

أبو النهضة الجزائرية[1]، محمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن الخوجة، الملقب بالمضربة، والمشهور بالشيخ الكمال، أحد أعلام الجزائر في تلك المرحلة من مراحل الاستعمار الفرنسي، وأحد رجالاتها في العلم والفكر والثقافة، ولد بحي القصبة بالجزائر العاصمة سنة:1865م، مُدرِّس بجامع صفر في العاصمة، حلَّاه نويهض بالقول:" شاعر، كاتب، عالم بالشريعة الإسلامية واللغة العربية"[2]، وعبد المجيد بن عدة:" كان فريد العصر في الفضل والندى، ولوعا بفعل الخيرات والقربات، واتسمت كتابته بالعمق والشمولية، حفلت حياته بنشاط علمي وإصلاحي، فزيادة عن كونه كان الإمام الخطيب بجامع صفر لمدة طويلة فإنه كان أيضا صاحب فكر جوال وقلم سيال"[3].

1: هو ما وصفه به عمر راسم عند ترجمته له، وذكر ذلك الدكتور أبو القاسم سعد الله في تاريخه،ج:03، ص: 85.

2: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 138.

: مقال بمجلة المجاهد، اللسان المركزي لحزب جبهة التحرير الوطني، العدد:1446، ص: 3.60

وذكره أبو القاسم سعد الله –رحمه الله– بالقول:" قضى حياته العلمية بين المسجد وجريدة المبشر والتأليف، وأثناء أدائه لمهمة التدريس والخطابة، جاء تنظيم الدروس بالمساجد سنة 1898م ثم 1900م و1905م، فكان من المدرسين المشار إليهم بالبنان، رغم قلة تلاميذه".[1]

يعتبر من أوائل من أدخل الفكر الإصلاحي للشيخ محمد عبده إلى أرض الجزائر، إذ يقول نويهض:" يعد من أوائل تلاميذ الاستاذ الإمام محمد عبده الذين نشروا مذهبه الاصلإحي خارج مصر، قال عمر راسم:" شاعر الجزائر في وقته، وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر، كان شغوفا بمحبة الشيخ محمد عبده وهو الذي أدخل مذهبه الى الجزائر وعرف الناس به".[2]

عُرف عنه أنه كان هجَّاء، وبأنه خبير بشؤون المشرق حتى كأنه عاش فيه مائة سنة[3]، ويعلق الدكتور أبو القاسم سعد الله على ذلك بالقول:" ونحن نفهم من هذا أنه كان يتابع تطورات المشرق في الفكر والسياسة والأدب نتيجة عمله في جريدة المبشر، ولعله كان مكلفا فيها بقسم المشرق وإنتاج المطابع هناك وشخصيات الشرق وتياراته الفكرية... تشهد تآليفه عن المرأة وعن التسامح الديني وعن الدفاع عن الإسلام وغيرها على متابعته للقضايا الإجتماعية والثقافية والدينية التي كانت تتفاعل في المشرق".[4]

لم يَدرس في المدارس الفرنسية الرسمية المعتمدة آنذاك، ودرس على مشايخ الجزائر في تلك المرحلة

الذين كانوا يحرمون الدراسة في المدارس الفرنسية، وذلك بعد مرسوم إجبارية التدريس لكل الجزائرين، ومن أكبار مشايخه الذين تلقى عنهم العلم الشيخ علي بن الحفاف[5] صاحب فتوى تكفير من لم يقاتل الفرنسيين ويفتي بذلك من العلماء.

---

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:03، ص: 82.

2: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 138.

: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:03، ص: 3.83

: المرجع نفسه، ج:03، ص: 4.84

5: علي بن عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن الحفاف، الجزائري مقرىء، عارف بالحديث، من فقهاء المالكية. ولد بمدينة الجزائر وبها نشأ وتعلم، وحج فأخذ عن علماء الحجاز. التحق بمعسكر الامير عبد القادر فولاه رئاسة ديوان الإنشاء بمليانة، ثم ولي الافتاء

والشيخ محمد السعيد بن زكري[1]، ولا يُعلم له دراسة خارج الجزائر، بل الغالب أنه جزائري التكوين، لذا وصفه أبو القاسم سعد الله بالعصامي في اكتساب الثقافة[2].

عمل في جريدة "المبشر" الرسمية كمحرر للغة العربية من سنة 1304 إلى سنة 1319 هـ (1868 – 1901م)، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله:" ويبدو أنه بدأ العمل في جريدة المبشر كمحرر فيها قبل العمل في التدريس بجامع صفر. وقد تعلم من المبشر العمل مع المستشرقين الفرنسيين وعرف عن كثب ماذا كانوا يريدون منه ومن الشعب، وكيف يحرفون الأخبار لتناسب أهواءهم وسياستهم، وعرف اهتماماتهم بالمشرق، زمن حكم السلطان عبد الحميد والثورة الإيرانية، واحتلال مصر، وثورة المهدي السوداني، فكان له ذلك في حد ذاته ثقافة عملية واسعة في فن الصحافة الاستعمارية وأحوال العالم الإسلامي. ولا نستبعد أن تكون بعض مؤلفاته من وحي هذه الظروف، وقد يكون بعضها من دافع الفرنسيين أنفسهم، مثل كتاب الصحة"[3].

وقد عُيِّن الشيخ ابن الخوجة مدرسا بمسجد جامع سفير سنة:1895م حيث أقرأ التفسير والفقه والتوحيد، وفي سنة 1331هـ (1913م) عين وكيلا على ضريح الإمام عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله تعالى.

**من آثاره المصنَّفة:**

---

بالبليدة حوالي سنة 1284هـ، ثم إفتاء مدينة الجزائر، وبها توفي. من آثاره "منة المتعال في تكميله الاستدلال" في القراءات السبع، و"الدقائق المفصلة في تحديد آية البسملة ". وهو صاحب الفتوى التي حكم فيها بالكفر على علماء مدينة الجزائر الذين لم يهاجروا بعد الاحتلال الفرنسي ويلتحقوا بالجبال. انظر: معجم أعلام الجزائر،ج:01، ص: 121.

1: ولد سنة: 1267هـ 1851م في بني زكري بمنطقة زواوة أثناء ثورة الشريف بو بغلة، وفتح عينيه على الانتفاضة التي استمرت في عهد لاله فاطمة نسومر والحاج عمر. ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى وقعت الثورة الرحمانية بقيادة الشيخ الحداد والباشاغا المقراني. ولكنه مع ذلك حفظ القرآن في جامع القرية ثم التحق بزاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي التي بقى بها سنوات. وظل يتنقل بين الزوايا أو المعمرات لإتمام دراسته، إلى أن وصل إلى العاصمة سنة 1297هـ ،1890م، وقد قال عن نفسه أنه منحدر من نسل أحمد بن زكري المغراوي التلمساني المتوفى سنة 900هـ، بتلمسان، ويعتبر ابن زكري نفسه من الأشراف.انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:03، ص: 97..

: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:03، ص: 2.84

: المرجع نفسه، ج:03، ص: 3.85

الإكتراث بحقوق الإناث، وقد طبع في الجزائر سنة 1895م، وقد ترجم إلى اللغة الفرنسية.

إقامة البراهين العظام في نفي التعصب الديني في الاسلام، وقد طبع في الجزائر سنة 1902م.

اللباب في أحكام الزينة واللباس والحجاب، وقد طبع أيضا في الجزائر بمطبعة فونتانا سنة 1907م،

تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان، طبع في الجزائر سنة 1896م.

السمط الدري في مسائل تتعلق بالجدري.

عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر، طبع في الجزائر سنة 1902م.

رسالة في سيرة بعض علماء الجزائر، كتبها الشيخ المكي بن عزوز، لكنها مفقودة.

نفائس في مآثر علماء الوطن.

ديوان شعر، مفقود.

كما نشر "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" لعبد الرحمن الثعالبي بعد مقابلته على سبع نسخ مخطوطة.

توفي[1] الشيخ في السابع من شوال سنة:1333هـ/1915م، ودفن بمقبرة الحامة بالجزائر العاصمة.

**صلته بالتفسير وعلومه:**

خدم الشيخ ابن الخوجة التفسير وعلومه تدريسا، حيث قام على تدريسه في مسجده سفير الذي عين فيه سنة: 1895م، يقول نويهض:" وعُيّن مدرسا بمسجد جامع سفير سنة:1895م حيث **أقرأ التفسير** والفقه والتوحيد"[2]، ويقول أبو القاسم سعد الله:" كان في المساجد يدرس للعامة

1: أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة، علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، دط، ت: 2012م، ص: 11.

2: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 138.

الفقه والتوحيد وبعض التفسير مما تسمح به السلطات الفرنسية، وقد وصفه عمر راسم بأنه كان حلو الكلام فصيح اللسان، وأنه كان يستشهد بالحديث والقرآن".[1]

ولم أجد عند من تطرق لحياته أكثر من قزلهم أنه كان يقوم بتدريس التفسير في جامعه بالعاصمة، دون إيراد منهم لطبيعة درسه، وهل كان الشيخ يقرأ فقط من أحد التفسير المشتهرة ويقوم بفك بعض الألفاظ المبهمة، خاصة أن درسه كان موجه للعامة، أم هو تفسير من عنديته ومن إلقائه هو، دون اللجوء لتفسير آخر، كل ذلك لا يمكننا الجزم به لقلة المصادر التي يمكن اعتمادها، ومنه فلا يمكننا الجزم بطريقة وكيفية تعامله من الاي الكريم.

وإن من تخمين في هاته المسألة، فيمكنني القول أن الشيخ كان يُدرِّس تفسير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للإمام عبد الرحمن الثعالبي، فابن خوجة قد أخرج هذا التفسير ونشره سنة: 1905م و1909م في أربعة أجزاء، بعد أن قابله على سبع نسخ مخطوطة، وهو دليل اهتمام كبير وبالغ به، فلا ضير أنه قام بتدريسه بعد أن قام بنشره والاهتمام به، يقول نويهض:" كما نشر "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" لعبد الرحمن الثعالبي بعد مقابلته على سبع نسخ مخطوطة"[2].

ويقول أبو القاسم سعد الله:" وكان بالإضافة إلى التدريس يعمل في المطابع مصححا ومحققا لبعض الكتب، من ذلك أنه هو الذي صحح تفسير "الجواهر الحسان" للشيخ الثعالبي الذي نشرته مكتبة ومطبعة رودوسي حوالي سنة 1904"[3]، ولم أقع على نسخة "الجواهر الحسان" باعتناء ابن الخوجة، وهي محل بحث واستقصاء.

وكان ابن الخوجة كثير المراسلة للإمام محمد عبده، فقد ذكر محمد رشيد رضا أن:" الشيخ محمد بن مصطفى أحد علماء الجزائر المشهورين بتآليفهم المفيدة –كتب– كتابًا للأستاذ الإمام، يقول فيه ما نصه:

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:03، ص: 86.

2: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 138.

3: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:03، ص: 86.

وقد اطلعت في المنار الأنور على تفسير سورة العصر بقلمكم البديع، فراقني أسلوبه الفائق العجيب، وأخذ مني منزعه العجيب بالتلابيب، فلله أنتم ولله دركم، ما أبعد غور فكركم الصائب، وغوص ذهنكم الثاقب، في استنباط دقائق المسائل، وتقرير حقائق الفضائل، ولشدة شغفي به قرأته على ملأ عظيم من العلماء والطلبة والأعيان عشر مرات في مجالس متفرقة، فاستحسنوه جدًّا، واستجزلوا فوائده وأبدوا من السرور ما لا مزيد عليه، وأثنوا على جنابكم السامي بما أنتم أهله، ودعوا لكم من صميم الفؤاد بسعادة الدارين"[1].

ويمكن الحكم على الشيخ ابن الخوجة أنه كان صاحب اتجاه إصلاحي اجتماعي في التفسير، وأنه كان يتطرق للمسائل الاجتماعية والقضايا المعاصرة في زمانه، متأثرا في ذلك بشيخه الإمام محمد عبده، فقد كان شغوفا به وبعلم، مقتفيا له، و"لما زار الشيخ محمد عبده الجزائر كان من ملازميه، وقد أعجب به وبعلمه وذكائه وجهاده في الإصلاح".[2]

ويمكننا استكشاف ذلك، في بعض نصوصه التفسيرية التي وجدتها في بعض تصانيفه، والتي تطرق فيها لقضية الملبس، وفسّر فيها قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ (الأعراف: ٣٢) إذ يقول:" أما الزينة فهي ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشبياء المباحة، كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها، والجواهر ونحوها، وأما الطيبات فهي المستلذات من المآكل والمشارب ونحوها، قال بعض العلماء: ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السبيل إلى حله، ومن أكل الفول والعدس واختارهما على خبر البُّر، ومن ترك أكل اللحم خوفا من عارض الشهوة، وقال المفسرون: وفي الآية دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الإستفهام في "من" إنكار تحريمهما على أبلغ وجه، ولولا أن الحديث ورد بتحريم استعمال الذهب على الرجال لدخل في عموم هذه الآية، وقد استدل بها من أجاز لبس الحرير والخز للرجال.

---

1: مجلة المنار، محمد رشيد رضا، المجلد:6، عدد:3، مارس 1903م، ص: 917. تفسير سورة والعصر.

2: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، المطبعة التعاونية، القاهرة، ط:01، ت: 1965م، ج:010، ص: 128.

ويروى عن زين العابدين رضي الله عنه أنه كان يشتري كساء الخز بخمسين دينار، فإذا أصاف تصدق به، لا يرى ذلك بأسا، ويقول: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ چ (الأعراف: ٣٢)

والحاصل أن لا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة إذا لم تكن مما حرمه الله، ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزينة ولم يمنع منها مانع شرعي، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطا بيّنًا"[1].

تجدر الإشارة إلى أنه تم إخراج أعمال ابن الخوجة سنة 2012م، في مشروع خمسينيات جامعة الجزائر تحت إشراف الدكتور علي تابليت، ولكن العمل كله يحتاج لإعادة نشر وتحقيق، ذلك أن جهد الدكتور كان مجرد نشر للأعمال فقط، كما أن عمله جاء خِلوا من قسم الدراسة، والتي ذكر فيها ترجمة موجزة للشيخ ابن الخوجة فقط.

**المحاضرة الخامسة: عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي، ت: 1359هـ، 1940م.**

: أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة، علي تابليت، ص: 1.182

الإمام العَلم، شيخ الجزائر والأمة العربية الإسلامية، الذي لا ولن توفه الكلمات حقه، لكبير فضله وجهاده، من رجال الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، حلَّاه نويهض بالقول:"من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ورئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر"[1] والمفكر مالك بن نبي بالقول:" لقد كان ابن باديس مناظراً مفحماً، ومربياً بنَّاءً، ومؤمناً متحمساً، وصوفياً والهاً، ومجتهداً يرجع إلى أصول الإيمان المذهبية، ويفكر في التوفيق بين هذه الأصول توفيقاً عزب عن الأنظار، إبان العصور الأخيرة للتفكير الإسلامي، وهو كذلك وطني مؤمن.. إنه المصلح الذي استعاد موهبة العالم المسلم"[2]، كما أشاد بذكره الشيخ الدكتور عمار طالبي الذي أخرج له الآثار واهتم بتراثه:" شخصية عجيبة، مجدد للنفوس البالية وباعث للضمائر الخامدة، والقلوب الهامدة، باث للعلم، محرك للعقول، مرجع الثقة للناس، زارع

: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 1.28

: آثار ابن باديس، عمار طالبي، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط:01، ت: 1968م، ج:01، ص: 2.10

بذور الثورة، مشيع فكرة الحرية، مبين المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، فاتكشفت به الغياهب الدكناء وانجابت الغيوم الكثيفة، والضباب العاتم من سماء الجزائر"[1].

ينتمي ابن باديس إلى بيت عريق في العلم والسؤدد ينتهي نسبه في سلسلة متّصلة ببني باديس الذين جدّهم الأول هو مناد بن حميد بن باديس الذي ظهرت علامات شرفه وسيطرته في وسط

قبيلته في حدود القرن الرابع الهجري، ولد بقسنطينة يوم الجمعة الموافق لـ 4 ديسمبر 1889 م على الساعة الرابعة بعد الظهر، هو الابن الأكبر لوالديه، فأمه زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلّول من أسرة مشهورة بقسنطينة لمدة أربعة قرون على الأقل، وعائلة "ابن جلّول" من قبيلة "بني معاف" المشهورة في جبال الأوراس، انتقل أحد أفرادها إلى قسنطينة في عهد الأتراك العثمانيين وهناك تزوج أميرة تركية هي جدة الأسرة (ابن جلول). ولنسب هذه المرأة العريق، تزوجها محمد بن مصطفى بن باديس متوفى 1951م والد عبد الحميد. وكان والده مندوبا ماليا وعضوا في المجلس الأعلى وباش آغا لشرفي الجزائر، ومستشارا بلديا بمدينة قسنطينة.

كان والده بارًا به يحبه ويتوسم فيه النباهة، فقد سهر على تربيته وتوجيهه التوجيه الذي يتلاءم مع فطرته ومع تطلعات عائلته، والشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه يعترف بفضل والده عليه منذ أن بصر النور، فقد قال ذلك في حفل ختم تفسير القرآن سنة 1938 م أمام حشد كبير من المدعوين ثم نشره في مجلة "الشهاب" إذ جاء في خطابه: إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي ربّاني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشرباً أرده، وبراني كالسهم وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً، وكفاني كلف الحياة... فلأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر"[2].

حفظ ابن باديس القرآن على الشيخ محمد المداسي، وأتم حفظه في السنة الثالثة عشرة من عمره، ومن شدة إعجاب المؤدب بذكائه وسيرته الطيبة قدمه ليصلي بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير، وحين بلغ الخامسة عشر من عمره سنة: 1904م زوَّجه والده وأنجب ولدا

: آثار ابن باديس، عمار طالبي، ج:01، ص: 1.94

2: انظر: مقدمة آثار ابن باديس، عمار طالبي، فقد أجاد الشيخ وأفاد وأغلق الباب من خلفه لكل من يريد البحث في حياته الخاصة والعامة.

أسماه عبده إسماعيل توفي وعمره سبعة عشر عاما، وهذا الإسم له دلالة، لأن هذا الإبن ولد تقريبا في السنة التي توفي فيها محمد عبده.

ثم جاء دور الرحلة في حياة الشاب، فسافر إلى مدينة تونس في سنة 1908م، وسنه إذ ذاك تسعة عشر عاما وانتسب إلى جامع الزيتونة، ويأخذ عن جماعة من أكابر علماء الزيتونة أمثال العلامة المفكر الصدر محمد النخلي القيرواني المتوفى سنة 1342هـ (1924م)، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي كان له تأثير كبير في تكوين عبد الحميد بن باديس اللغوي وفي الشغف بالأدب العربي والإعتزاز به، ومن أساتذته الشيخ الخضر بن الحسين الجزائري الأصل الذي درَّس بجامع الزيتونة،كما أخذ عنه دروسا في التفسير في أوائل كتاب البيضاوي بدار الأستاذ، شارع باب منارة تونس، ومنهم أبو محمد بلحسن إبن الشيخ المفتي محمد النجار الذي تولى الإفتاء سنة 1342هـ، ومنهم محمد الصادق النيفر وسعد العياض السطايفي المصلح المجدد، ومحمد بن القاضي، والبشير صفر المؤرخ المجدد، وغيرهم كثير. وتخرَّج بشهادة التطويع في سنة:1911 – 1912م وعمره ثلاث وعشرون سنة وعمل سنة واحدة في جامع الزيتونة على عادة المتخرجين في ذلك الوقت[1].

يقول الدكتور عمار طالبي:" ولما رجع الشيخ من تونس عاد شعلة من الحماسة وشهابا واريا من الدين، فقصد الجامع الكبير وأخذ في إلقاء الدروس، وابتدأ بتدريس كتاب "الشفاء" للقاضي عياض، ثم قرر السفر للحج إلى بيت الله الحرام وللقاء شيخه حمدان لونيسي، فاستأذن أباه وسافر، وأتيح له أن يتصل في رحلته هذه بأطراف من العالم الإسلامي في المشرق وبجماعة من المفكرين والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ومن الأعمال التي سجلها في الأراضي المقدسة أنه قام بإلقاء درس في الحرم النبوي على مشهد كثير من المسلمين وبحضور شيخه حمدان لونيسي، وعند رجوعه من مهبط الوحي، سلَّم له حمدان لونيسي رسالة إلى الشيخ بخيت العالم الأزهري المصري زميل الشيخ محمد عبده والمدافع عنه، فاتصل به في منزله بحلوان، ولما بيَّن له أنه مرسل من طرف أستاذه قال له معظما إياه: "ذاك رجل عظيم! "

1: انظر: مقدمة آثار ابن باديس، عمار طالبي. بتصرف.

ومر كذلك على الشام (دمشق ولبنان)، وهكذا فإن ابن باديس أتم دراسته بالرحلة في البلاد الإسلامية ومحادثة العلماء، وهو ما يعتبر من شروط العالم المتمكن من التقاليد العلمية، والمناهج التربوية الإسلامية... ولما نزل قسنطينة سنة 1332هـ (1913م) شرع في العمل التربوي، وأخذ يعلم صغار الصبيان الذين يقرأون القرآن في الكتاتيب وخصوصا كُتَّاب سيدي فتح الله"[1].

وعن نشاطه في العمل التوعوي بإصدار المجلات والجرائد يقول:" في تلك المرحلة أسس عبد الحميد جريدة "المنتقد" التي يبين اسمها عن معنى النقد الذي كانت تخشاه أرباب الطرقية وتقاومه في مناهج تربيتها للمريدين وللجمهور بتلك العبارة المعروفة "إعتقد ولا تنتقد" وأول مقال في الصفحة الأولى عنوانه: "خطتنا: مبادئنا وغايتنا وشعارنا "افتتح بهذه العبارة:

" باسم الله ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون، والمبدأ الذي نحن عليه عاملون".

ثم تأتي ثلاثة عناوين أخرى:1 – مبدؤنا السياسي. 2 – مبدؤنا التهذيبي. 3 – مبدؤنا الانتقادي.

صودرت المجلة سنة 1925م بعد ثمانية عشر عددا منها، كما وقع ذلك للعروة الوثقى التي صودرت بعد صدور ثمانية عشر عددا أيضا... واستمر الشيخ وأصدر جريدة "الشهاب" واستمرت في صورة جريدة إلى غاية رمضان 1347هـ، فيفري1929م، وفي هذه السنة تحول إلى مجلة شهرية علمية تبحث في كل ما من شأنه أن "يرقي المسلم الجزائري" ومبدؤها في الإصلاح الديني والدنيوي، وصمدت المجلة تؤدي رسالتها مصدَّرة في الغالب بتفسير آيات من القرآن الكريم، وبشرح بعض الأحاديث إلى آخر عدد منها الصادر في شعبان 1358هـ سبتمبر 1939م".[2]

على الرغم من مقولته المشهورة، **شغلنا بتأليف الرجال عن تأليف الكتب**، إلا أنه ترك مجموعة من التآليف والتصانيف، نذكر منها:

---

1 : انظر: مقدمة آثار ابن باديس، عمار طالبي.ج:01، ص: 87/80 بتصرف.

2 : انظر: نفس المرجع.ج:01، ص: 87/80 بتصرف.

– تفسير ابن باديس في مجالس التذكير، طبع سنة 1964م. 2 – من الهدي النبوي، طبع سنة 1965م.3 – رجال السلف ونساؤه،طبع سنة 1965م. 4 – عقيدة التوحيد من القرآن والسنة، طبع سنة 1964م. 5 – أحسن القصص لم يطبع بعد. 6 – رسالة في الأصول، لم يطبع بعد. 7 – مجموعة كبيرة من المقالات السياسية، والاجتماعية، جمعت مع بعض ما سبق، وطبعت في كتاب.

8 – مجموعة خطب ومقالات ابن باديس، طبعت في كتاب سنة 1966م.

جاء الأجل المحتوم للإمام ابن باديس وانتقل للرفيق الأعلى في مساء الثلاثاء 8 ربيع الأول 1359هـ 16 أفريل 1940م، فتحركت قسنطينة بأكملها لتشييع جنازته، وكان يوما مشهودا في ظروف قاسية وأزمة عالمية تمثلها حرب طاحنة ودفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة.

**صلته بالتفسير وعلومه:**

مشتهر معلوم أن الإمام ابن باديس قد خدم التفسير بالتدريس فيه، وأن جهده في هذا قد أخذ كل وقته، لربطه التدريس التفسيري بالجهاد في سبيل الله، ولفهمه الدقيق بأن منهج الصحوة وإعادة بعث الأمة لا بد أن يكون من منبعها الصافي ودليلها الهادي الذي هو القرآن الكريم.

كان الإمام ابن باديس يقيم دروسه التفسيرية لطلبته في جامع الأخضر بقسنطينة، وقد ختمه ختمة كاملة، قضى فيه نحو 25 سنة، بدأه في شهر ربيع الأول سنة 1332هـ الموافق1914م، وختمه في شهر ربيع الأول من عام 1357هـ الموافق1938م، وكان يوم الختم يوما مشهودا، فرح فيه العوام والخواص الطلبة والمشايخ، أيمت فيه الولائم ووزعت فيه الهدايا، واستبشر أهل الجزائر قاطبة بهذا الإنجاز العظيم، الذي لم يعهدوه، والظرف استعمار فرنسي غاشم يهدد الهوية ويريد طمس الملامح الإسلامية.

والشيخ الإمام لم يكن يكتب من تفسيره إلا قليلاً، فلم يكن يكتب من التفسير ما يَلقي، ولم تكن آلات التسجيل شائعة الاستعمال، ومتيسرة الوجود، ولم يتح له تلميذ نجيب يسجل ما يقول،

ولكنه كان يكتب في مجالس معدودة من تلك الدروس وكان ينشرها في فواتح أعداد مجلة الشهاب، ويسميها مجالس التذكير، وقد جمعت هذه الافتتاحيات بعد وفاته في كتاب تحت عنوان "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، والذي طبع مرات عديدة، وتم الاهتمام به. ولم نجد فيه غير تفسيره لآيات من سورة الإسراء، الفرقان، النمل، يس، آيات بينات، المعوذتين، العرب في القرآن، وبهذا الترتيب والعنونة كان تفسيره رحمه الله.

أورد المفكر مالك بن نبي نموذجا من تفسيره ليستدل به على تمكن الإمام ابن باديس من التفسير وابتكار الموضوعات التفسيرية التي تمس الواقع وتعالجه، إذ يقول في قوله تعالى:چ ڤ ڤ ڦ ڦ ڨ ڨ
ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڃ ڇ ڇچ چ ڇ ڇ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ
ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ چ (المائدة: ١٥ – ١٦) وهي موضوع التفسير،
ويستخلص الشيخ من هذه الآية خمسة عشر عنوانا فرعيا كما يلي:

1 – أدب واقتداء. 2 – بيانه لهم، حجته عليهم. 3 – تمثيل. 4 – أدب واقتداء. 5 – نعمة الإظهار والبيان بالرسول والقرآن. 6 – محمد – صلى الله عليه وسلم – والقرآن نور وبيان. 7 – استفادة. 8 – اقتداء.

9 – الهداية ونوعها. 10 – بماذا تكون الهداية. 11 – لمن تكون الهداية. 12 – إلى ماذا تكون الهداية. 13 – الإخراج من حالة الحيرة إلى حالة الاطمئنان 14 – الإسلام هو السبيل الجامع العام. 15 – الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله لازم دائم"[1].

ثم يعقب عليه بالقول:" وإذا طبقنا تحليلنا الخاص على هذا الموضوع، رأينا أن الشيخ قد أمدنا من خلال تفسير هذه الآية بصورة ما بطيف ذاته: فالذي يتكلم إنما هو الذاب عن الدين، والناقد الاجتماعي، والعالم المحقق، والمصلح، والصوفي، كل بدوره.

---

[1]: آثار ابن باديس، عمار طالبي، ج:01، ص: 1.13

ولا يفوتني أن أذكر أن غنى هذه الذات ليس محصورا كله في فعل واحد من أفعال هذا الفكر وهذه السيرة اللذين بعثا الحياة في فترة ما من تاريخنا الوطني، وعلى القارئ ألا ينسى أن ابن باديس مثقف يعيش في مأساة مجتمع وحضارته على طريقته الخاصة"[1].

**قلتُ**: وهو صنيعه في كل الآيات التي يتطرق لها بالتفسير، فيستهدي بها لعشرات العناوين التي تخدم الفرد والمجتمع، ويُسهب فيها شرحا وربطا بواقعه المعاش، لذا خرج تفسيره مخرج الاتجاه الإصلاحي الاجتماعي.

ينبه الدكتور عمار طالبي على منهج الشيخ في التفسير بالقول:" فعبد الحميد بن باديس مفسر للقرآن تفسيرا سلفيا يراعي فيه مقتضيات العصر معتمدا على بيان القرآن للقرآن، وبيان السنة له، وعلى أصول البيان العربي وسننه، والنفاذ إلى لغة العرب وآدابها، وقوانين النفس البشرية وسنن المجتمع الإنساني، وتطور التاريخ والأمم وهو محدث من الطراز العالي لا يستشهد إلا بالأحاديث الصحيحة المسندة إلى الصحاح الست، إلى البخاري أو مسلم أو الموطأ الذي اهتم به واعتبر منهجه في الاستدلال خير المناهج، فدرسه وختمه كما ختم القرآن في ربع قرن.

والظاهرة الواضحة في الحياة العلمية التي نهض بها هي: الناحية النقدية المنهجية التي ترد الفروع لأصولها، والأصول لمستنداتها، فأذهب ذلك الجو القاتم الساكن المستسلم الذي يسمع فيه الطالب ويسلم معتقدا أن "سلم تسلم" وأن "سلم للرجال على كل حال" مبدأ لا ينبغي تحديه، ولا تجاوزه، وهو ما كان سائدا قبل حركته... ويدرس آيات القرآن وما تنطوي عليه من الدعوة إلى النظر في تجارب الأمم وتطورات الأحداث، وما تخضع له من سنن وقوانين لا تبديل لها ولا تحويل، وهو صوفي زاهد لا كمتصوفة أهل زمانه وزهادهم، متأثر بالغزالي ويسمى كتابه "إحياء علوم الدين" بكتاب الفقه النفسي "[2].

كما أشار إلى منهجه عموما في تقديمه لتفسير "مجالس التذكير" الدكتور توفيق شاهين إذ يقول:"وهو مفسر ممتاز، له استقلاليته في الفهم والرأي، يقرأ التفاسير، ثم يجعل من عقله مصفاة لها،

---

1 : آثار ابن باديس، عمار طالبي، ج:01، ص:14.

2 : المرجع نفسه، ج:01، ص: 91.

فلا يخرج منها إلاّ ما صح ونفع، ولاءم العصر، وصدق الخبر، مع حسن عرض، واستنباط واع، واستنتاج للعبرة، وحث على سنة، وإخماد لبدعة، في أسلوب عصري، وتطويل غير ممل، وإيجاز غير مخل.

فسر القرآن الكريم كله في خمس وعشرين سنة، أي ما يوازي مدة نزوله، واشتغل بتأليف الرجال عن تأليف الكتب، فلم يبق من تفسيره سوى هذا القدر الباقي في مجالس التذكير، مما كان ينشر في مجلة الشهاب، وهناك فرق كبير بين التفسير الخاص لطلابه، والعام في الوعظ والإرشاد، وما كان يكتب في مجالس التذكير ليقرأه العام والخاص. وهكذا اجتمعت عنده عدة الجهاد والاجتهاد، وأنار الله بصيرته، فأحيا شريعة، وأقام مجتمعا، وأنقذ شرفا وأمة ولغة"[1].

**قلتُ**: وقد أبان الشيخ الإمام عن منهجه العام والخاص في طريقة التعاطي مع الآي الكريم، إذ يقول:" أما بعد؛ فقد عدنا –والحمد لله تعالى– إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير، نقتطف أزهارها، ونجتني ثمارها، بيسر من الله – تعالى– وتيسير، على عادتنا من تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات، بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك على صحيح المنقول وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون– رحمة الله عليهم أجمعين–.

وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة تفسير ابن جرير الطبري، الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.

وتفسير الكشاف الذي يمتاز بذوقه في الأسلوب القرآني وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب والتنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام.

وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات.

---

1: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1995م، ج:01، ص:09.

وتفسير الرازى الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمناظرة في ذلك والحجاج. إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام.

نقول هذا ليعرف الطلبة مصادر درسنا، ومآخذ ما يسمعونه منا، ونحن نعلم أننا –والله– كما قال أخو العرب:

لَعَمرو أبيكَ ما نُسب الـمُعلَّى *** إلى كَرَمٍ وفي الدُّنيـا كَريمُ

ولكنَّ البلاد إذا اقْشَعَـــرَّتْ *** وَصَوَّحَ نَبتُها رُعِيَ الهَشِيمُ

وكما نقول في مثل: "إنما نُكحل في موضع العينين"، وإذا نظرنا إلى قصورنا وخطورة مقام الكلام على كلام الله تعالى أحجمنا، وإذا رأينا إلى فضل الله وثقتنا به وحسن قصدنا إن شاء الله تعالى في خدمة كتابه أقدمنا. وهذا الجانب الكريم أرجح عندنا، فنحن نُقدِم معتمدين على الله تعالى، سائلين منه تعالى لنا ولكم أن يوفقنا إلى حسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول، وسداد العمل".[1]

ومن أراد الاستزادة فعليه بتفسيره فإنه متوفر متداول، عليه شآبيب الرحمة والرضوان.

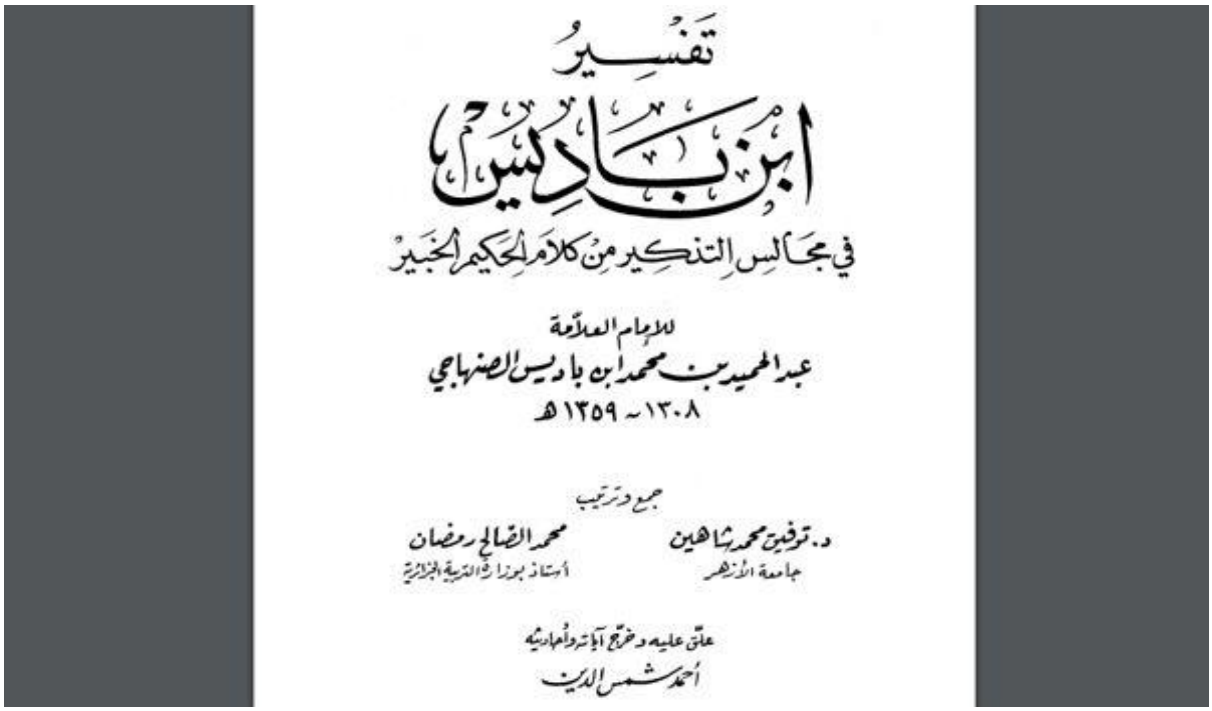


: آثار ابن باديس، عمار طالبي، ج:01، ص: 162-1.163

**المحاضرة السادسة: محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي ت: 1385هـ، 1965م.**

الشيخ الإمام، عَلم الجزائر وحامي عروبتها، أحد الأئمة الأعلام الذين خدموا الإسلام والعروبة بأقلامهم وأرواحهم وكل غال ونفيس بين جنباتهم، الشيخ الإمام محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، والإبراهيمي نسبة لمكان ولادته بولاد براهم، بدائرة راس الواد، ولاية برج بوعريريج، والتي ولد فيها يوم الخميس 14 شوال 1306هـ، الموافق 13 جوان سنة: 1889م، حلَّاه الزركلي بالقول:" مجاهد جزائري، من كبار العلماء"[1]، ونويهض بقوله:" أحد رجال الإصلاح الإسلامي، خطيب، من الكتاب البلغاء، العلماء بالأدب والتاريخ واللغة وعلوم الدين"[2]، وأشاد به وبعلمه تلميذه الأستاذ عبد المجيد مزيان إذ يقول:"ونشهد كما عرفناه –نحن

: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج:06، ص: 1.54

: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 2.13

تلامذته- أنه كان من أعلم أهل عصره بالعلوم الإسلامية والعربية، كان إمامًا لا نظير له في علوم الحديث، وكانت نيته أن ينشئ مدرسة مغربية للحديث"[1].

يقول نجله طالب الإبراهيمي:" أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي الذي اكتشف مواهبه المبكرة، وكان له الفضل الأكبر في تربيته وتكوينه، حتى جعل منه ساعده الأيمن في تعليم الطلبة، ومن هذه المرحلة المبكرة من حياة الشيخ الإبراهيمي لم نعثر على آثار تذكر".[2]

هاجر والد الإمام الإبراهيمي إلى المدينة المنورة ومكث فيها هروبا من ويلات الاستعمار، ثم لحقه واستقر بالمدينة المنورة مجاورا مع والده، يقول نجله أحمد طالب الإبراهيمي:" هاجر جدي الشيخ السعدي الإبراهيمي إلى المدينة المنورة عام 1908، هروبا من ويلات الاستعمار الفرنسي، ولحق به والدي عام 1911، تأكيدا للتفاعل بين المشرق والمغرب، مرورا بمصر التي أقام بها ثلاثة أشهر، التقى خلالها بعدد من علمائها وأدبائها وشعرائها، وحضر بعض دروس العلم في الأزهر، وعندما استقر بالمدينة المنورة، درس فيها على كبار علمائها- الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي- علوم التفسير والحديث، والفقه، والتراجم، وأنساب العرب، وأدبهم، ودواوينهم، كما درس علم المنطق والحكمة المشرقية، وأمهات كتب اللغة والأدب، ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي، ويقضي أوقات فراغه في المكتبات العامة والخاصة باحثا عن المخطوطات. والتقى خلال إقامته بالمدينة المنورة، في موسم الحج عام 1913، بالإمام عبد الحميد ابن باديس، وما من شك في أن تلك اللقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس جمعية العلماء.

وفي سنة 1917، انتقل الإبراهيمي إلى دمشق، حيث دعته حكومتها لتدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية (مكتب عنبر)، وهي المدرسة العصرية الوحيدة آنذاك، بالإضافة إلى إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي، وقد تخرج على يديه جيل من المثقفين كان لهم أثر بالغ في النهضة العربية الحديثة.

---

1 : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت: 1997م، ج:01، ص: 18.

2: المرجع نفسه، ج:01، ص: 09.

من الأماكن التي كانت لها مكانة خاصة في قلب الوالد- بعد مسقط رأسه- المدينة المنورة، وكان- رحمه الله- يحثني- بعد الاستقرار- على قضاء شهر رمضان بالمدينة، لما للمكان من بعد روحي، ولسكانها من خلق وطيبة، ومدينة دمشق التي تزوج فيها بوالدتي رفيقة العمر- رحمها الله رحمة واسعة- ، ودفن فيها والده وحماه وابنه، ومن هذه المرحلة لم نعثر على آثار مكتوبة للإبراهيمي...

قرر الإبراهيمي العودة إلى الجزائر سنة 1920، وفي مخيلته فكرة حركة تحيي الإسلام والعربية في الوطن وتنشر العلم، وتبعث الأمة، وأُعجب بعد وصوله بالنتائج المثمرة التي حققها ابن باديس الذي كان يقود حركة ثقافية وصحفية بمدينة قسنطينة، فأقام بمدينة سطيف وأنشأ بها مدرسة ومسجدا بعد أن رفض الوظيفة التي عُرضت عليه من طرف السلطات الفرنسية، وتعاطى التجارة ليقوم بأوَد عائلته، وبقي على اتصال بابن باديس. وخلال هذه المرحلة تردد على مدينة تونس حيث كان يقيم أصهاره، وحيث كانت له صداقات في الأوساط العلمية والأدبية...

في عام 1931 تأسست "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، كرد فعل إيجابي على احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر، ووضع الإبراهيمي دستور الجمعية وقانونها الأساسي، وأصبح نائبا لرئيسها الإمام ابن باديس، ومنذ عام 1933 تكفل بالمقاطعة الغربية من القطر، واختار مدينة تلمسان مركزا لنشاطه المكثف، وأسس فيها "مدرسة دار الحديث" سنة 1937، بنيت على نسق هندسي أندلسي أصيل، فكانت مركز إشعاعٍ ديني وعلمي وثقافي، واحتوت على مدرسة ومسجد وقاعة محاضرات...

بعد أن رفض الإبراهيمي رفضا قاطعا كل محاولات فرنسا لإغرائه واحتوائه، أو تثبيط عزيمته، قررت السلطات الاستعمارية نفيه إلى قرية آفلو في الجنوب الغربي من الوطن، في مطلع الحرب العالمية الثانية.

وبعد أسبوع من نفيه تلقى خبر وفاة رفيقه الإمام عبد الحميد بن باديس- رحمه الله-، وخبر اجتماع أعضاء الجمعية وانتخابهم له رئيسا رغم الضغوط الفرنسية الرامية إلى انتخاب غيره، فتحمل مسؤولية قيادة الجمعية غيابيا، وتولى إدارتها بالمراسلة طول الأعوام الثلاثة التي قضاها في المنفى، وبعد إطلاق سراحه عام 1943، أصبح قائدا للحركة الدينية والعلمية والثقافية في الجزائر، يجوب ربوعها معلما وموجها ومرشدا، يوحد الصفوف ويؤسس المدارس والمساجد والنوادي ويهيئ العقول لساعة

الصفر التي كانت تخطط لها نخبة من الحركة السياسية، وقد زُجَّ به في السجن بعد أحداث مايو 1945، وبقي فيه عاما كاملا ذاق الأمرين في زنزانة تحت الأرض حيث الظلمة والرطوبة، مما استدعى نقله إلى المستشفى العسكري بقسنطينة..."[1].

هاجر الشيخ بعدها بسبب الضغوط الممارسة عليه إلى بلاد الشام والقاهرة متنقلا بينهما، ثم عاد إلى أرض وطنه، يقول نجله:" عاد الإبراهيمي إلى وطنه بعد استعادة الاستقلال حتى وفاته في 20 مايو1965، وخلال هذه المرحلة اضطر إلى التقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته من جهة، وبسبب سياسة الدولة التي شعر أنها زاغت عن الاتجاه الإسلامي... وقد ألقى الشيخ أول خطبة جمعة بعد استعادة الاستقلال، افتتح بها مسجد "كتشاوة" بالعاصمة، الذي رجع كما كان مسجدا بعد أن حوله الاستعمار الفرنسي إلى كتدرائية طوال قرن وثلث، وقد ألقى الإبراهيمي هذه الخطبة المشهودة بحضور وفود من جميع الدول العربية والإسلامية".[2]

يقول نويهض:"وفي سنة 1952 رحل إلى المشرق وجال في أكثر بلدانه ثم استقر بالقاهرة. واندلعت نار الثورة الجزائرية التحريرية (1954) فانتدب من قبل قيادتها للقيام بمهمات لدى الدول العربية والإسلامية، فقام بها أحسن قيام، وإثر استقلال الجزائر (1962م) عاد إليها وأقام بالعاصمة مريضا وقد هده الجهد والإعياء إلى أن توفي".[3] عليه رحمة الله تعالى.

وعن مصنفات الإمام وآثاره، فملاحظ قلتها وشحها، ولذلك سبب وجيه جدا بيَّنه ابنه الطالب الإبراهيمي بقوله:" نذر حياته للإصلاح الديني والاجتماعي وتكوين الرجال القادرين على حماية إسلام الجزائر وعروبتها. وقد أكد ذلك في آخر حياته بقوله: "لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا، وعملت لتحرير

1: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، ج: 01، ص: 10-11-12.

2: المرجع نفسه، ج: 01، ص: 13.

: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 3.13

عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته، فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه، فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضى الرب ورضى الشعب "[1]، **من آثاره المصنَّفة:**

عيون البصائر، وهي مجموعة من مقالاته التي كتبها في السلسلة الثانية من مجلة البصائر./ بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر/ النقايات والنفايات في لغة العرب :جمع فيه كل ما جاء على وزن فعالة من مختار الشيء أو مرذوله./ أسرار الضمائر في العربية/ التسمية بالمصدر/ الصفات التي جاءت على وزن فعَل/ نظام العربية في موازين كلماتها/ الاطراد والشذوذ في العربية :وهي رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك./ ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة/ رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا إثنان/ رواية كاهنة الأوراس :بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة والخيال./ رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية/ حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام/ شعب الإيمان :جمع فيه الأخلاق والفضائل الإسلامية... وبقي بعضها ضمن المخطوطات المفقودة، وبعضها في المجلات والجرائد القديمة التي كان يكتبها في بلاد المشرق والمغرب[2].

تجدر الإشارة إلى أن الشيخ كان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد.

## صلته بالتفسير وعلومه:

خدم الإمام الإبراهيمي التفسير وعلومه بالتدريس فيه، حيث اشتُهرت مجالسه التفسيرية التي كان يقوم بها في جوامع ومساجد الجزائر خصوصا والبلاد العربية الإسلامية عموما، يقول نجله في ذلك:" وكان مفسّرًا للقرآن في دروس عمومية ودروس للطلبة الخواص، أتى فيها بإبداعات سجَّلتها عنه ذاكرة الرجال، ولو لم تجمعها المكتوبات".[3]

1: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، ج:01، ص: 06.

2: مقال بعنوان: محمد البشير الإبراهيمي، موقع وكبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki/

3: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، ج:01، ص: 18.

كما يمكننا القول أن الإمام قد خدم التفسير بالتأليف فيه أيضا، فقد ذكر في تقديمه لتفسير الشيخ عبد الحميد ابن باديس أن له تفسيرا للمعوذتين، إذ يقول:" ولما احتفلتِ الأمة الجزائرية ذلك الاحتفال الحافل بختمه لتفسير القرآن عام 1357هـ، وكتبتُ بقلمي تفسير المعوذتين مقتبسا من درس الختم، وأخرجته في ذلك الأسلوب الذي قرأه الناس في "مجلة الشهاب" أُعجب به أيما إعجاب؛ وتجدَّد أمله في أن نتعاون على كتابة تفسير كامل، ولكن العوارض باعدت بين الأمل والعمل سنتين"[1]، فظاهرٌ أن الشيخ كتب تفسيرا للمعوذتين في تلك الفترة المسماة، وأن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أعجب به وبطريقته في التفسير، وهذا التفسير موجود في مجلة الشهاب، الجزء الرابع، المجلد الرابع عشر، بتاريخ جوان-جويلية 1938م، **قلتُ**: وهو موجود بنصه في آثاره التي كتبها نجله الطالب الإبراهيمي الجزء:01، ص/ 341، بعنوان: خلاصة تفسير المعوذتين.

قام الشيخ الإبراهيمي بتلخيص وبيان أهم الأصول التي استشفها من تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس للمعوذتين، وبيان الإتجاه الذي سار فيه الشيخ وهو يبرز أهم معالم السورتين، وأهم فوائدهما ودررهما، شارحا ذلك بنَفَس تفسيري وبصمة مفسِّر صابر لأغور التفسير، منوها على دور الأمالي في التراث الإسلامي، مستنكرا في نفس الوقت وبلغة شديدة تغافل الطلبة عن كتابة ما يمليه الشيخ، إذ يقول:" وانحطت وظيفة السامعين من الكتابة والتقييد إلى الاستماع المجرد ولسنا نعيب طريقة التزام الكتب وشرح معانيها بالكلام، فذلك في حقيقته نوع قاصر من الإملاء، وإنما نَنْعَى على السامعين إهمالهم لكتابة ما يسمعون فتضيع عليهم الفوائد التي يلقيها الأستاذ وقد تكون قيّمة، كما تضيع في عصرنا هذه الخطب والمحاضرات المرتجلة التي لا يكتبها ملقيها ولا متلقيها "[2].

وليس لنا لأجل الوقف على أهم خصائص منهج الإمام الإبراهيمي في التفسير وطريقة تعامله مع الآي الكريم، إلا رسالته المسماة "**خصائص التفسير الباديسي**" والتي شرح فيها منهج شيخه، وأبان عن منهجه هو في عملية التفسير، منوها لإرهاصات التجديد في التفسير وأهم محطاته التاريخية وأهم

---

: آثار ابن باديس، عمار طالبي، ج:01، ص: 1.20

: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، ج:01، ص: 341. 2

قواعده، والذي جعل من الشيخ ابن باديس حاملا للوائه بعد شيخه محمد رشيد رضا الذي استلم مشعله من شيخه محمد عبده والفغاني رحمات الله عليهم.

أورد هنا مقاله "**خصائص التفسير الباديسي**"، ليقرأ على مهل، مستفيدين من منهجه التفسيري إذ يقول:"

الحاجة إلى القرآن:

القرآن كتاب الإنسانية العليا، استشرفت إليه قبل أربعة عشر قرناً حين ضامها أبناؤها فعقلوها، فارتكسوا في الحيوانية السفلى، فأخلدوا إلى الأرض، فأكثروا فيها الفساد، فأنزله الله من السماء ليصلح به الأرض وليدل أهلها المستخلفين عليها من بني آدم، على الطريق الواصلة بالله، ويجدد ما رث من علائقهم به. وما أشد شبه الإنسانية اليوم بالإنسانية قبل نزول القرآن، في جفاف العواطف، وضراوة الغرائز، وتحكم الأهواء، والتباس السبل، وتحكيم القوة، وتغول الوثنية المادية.

وما أحوج الإنسانية اليوم إلى القرآن، وهي في هذا الظلام الحالك من الضلال، وقد عجز العقل عن هدايتها وحده، كما عجز قديماً عن هدايتها، لولا تأييد الله له بالأمداد السماوية من الوحي الذي يقوي ضعفه إذا أدركه الوهن، ويصلح خطأه إذا اختل ميزانه. وكما أتى القرآن لأول نزوله بالعجائب المعجزات في إصلاح البشر فإنه حقيق بأن يأتي بتلك المعجزات في كل زمان، إذا وجد ذلك الطراز العالي من العقول التي تفهمته، وذلك النمط السامي من الهمم التي نشرته وعممته، فإن القرآن لا يأتي بمعجزاته ولا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلاّ إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف، وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم وهممهم. أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد، وبهذا النمط السخيف من الفهم السطحي، وبهذا الأسلوب التقليدي من التفسير اللفظي- فإنه لا يفيدهم شيئاً، ولا يفيد بهم شيئاً، بل يزيدهم بعدا عن هدايته، ويزيد أعداءهم استخفافاً بهم، وإمعاناً في التكالب عليهم، والتحكم في رقابهم وأوطانهم.

ولو فهمنا القرآن كما فهمه السلف، وعملنا به كما عملوا به، وحكّمناه في نفوسنا كما حكموه، وجعلنا أهواءنا ومشاربنا تابعة له، وموزونة بميزانه، لو فعلنا ذلك لكنّا به أعزة في أنفسنا وأئمة لغيرنا.

**معنى التفسير**: تفسير القرآن، تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه. والتفهم تابع للفهم؛ فمن حسن فهمه أحسن تفهيمه، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه، وإن كتب فيه المجلدات، وأملي فيه ألوف المجالس.

وفهم القرآن يتوقف – بعد القريحة الصافية، والذهن النير– على:

التعمق في أسرار البيان العربي.

والتفقه لروح السنة المحمدية المبينة لمقاصد القرآن، الشارحة لأغراضه بالقول والعمل.

والاطلاع الواسع على مفهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة.

ثم على التأمل في سنن الله في الكائنات.

ودراسة ما تنتجه العلوم الاختبارية من كشف لتلك السنن وعجائبها.

وقد فهمه السلف حق الفهم ففسروه حق التفسير، مستعينين بإرشاده على فقه سنن الأكوان. ولو لم ينحسر تيار الفهوم الإسلامية للقرآن، بما وقف في سبيله من توزع المذاهب والعصبيات المذهبية، لانتهى بها الأمر إلى كشف أسرار الطبيعة ومكنونات الكون، ولسبق العقل الإسلامي إلى اكتشاف هذه العجائب العلمية التي هي مفاخر هذا العصر.

كان علماء السلف يشرحون الجانب العملي من القرآن على أنه هداية عامة لجميع البشر، يطالب كل مؤمن بفهمها والعمل بها. وكانوا يتحاشون الجانب الغيبي منه لأنه مما لا يصل إليه عقل المكلف، فلا يطالب بعلمه، ولا يحاسب على التقصير فيه. وكانوا ينظرون إلى الجانب الكوني منه نظرات مسددة، لو صحبها بحث مسدد ممن أتى بعدهم.

**طرائق المفسِّرين:**

وللمفسرين من عهد التدوين إلى الآن طرائق في فهم القرآن، وأساليب في كتابة تفسيره، أما الأساليب فقلما تختلف إلاّ بعض العصور، حين تختلف الأساليب الأدبية فتنحط أو تعلو، فيسري التطور منها إلى الأساليب العلمية. وأما الطرائق فإنها تختلف باختلاف الاختصاص في المفسرين والعلوم التي غلبت عليهم وعرفوا بها.

أ- فالمحدثون، يلتزمون التفسير بالمأثور، فإن اختلفت الرواية فمنهم من يروي المتناقضات ويدعك في حيرة، ومنهم من يدخل نظره وفكره في التعديل والترجيح كما يفعل أبو جعفر الطبري.

ب- ومقلدة المذاهب: يفسرون القرآن بقواعد مذاهبهم، ويحكمونها فيه. فإذا خالف نصه قاعدة من قواعدهم ردوه بالتأويل إليها. وهذا شر ما أصيب به هذا العلم، بل هو نوع من التعطيل، وباب من التحريف والتبديل؛ لأنه في حقيقة أمره وضع لكلام الله في الدرجة الثانية من كلام المخلوق، وفي منزلة الفرع من أصله يرد إليه إذا خالفه، وأعظم بها زلة وإن هذه الزلة هي الغالبة على صنيع المتشبثين بالمذاهب والمتعصبين لها، يتباعدون عن القرآن ما شاء لهم الهوى فإذا تناولوه فبهذه النظرة الخاطئة .

ج- والمتكلمون في "معاني القرآن" معظمهم من اللغويين والنحاة، فهم يتكلمون غالبا على الألفاظ المفردة، وأوجه الإعراب. فهم أقرب الكاتبين في الغريب أمثال الأصفهاني، وأبي ذر الهروي.

وإنما أطلقوا على كتبهم هذا الإسم (معاني القرآن) لأن بساطة الأسماء كانت هي الغالبة في زمنهم.

د- والإخباريون مفتونون بالقصص، فلا يقعون إلاّ على الآيات المتعلقة به. ويا ليتهم يحققون الحكمة من القصص، فيجلون العبر منها، ويستخرجون الدقائق من سنن الله في الأمم وجميع الكائنات. ولكنهم يسترسلون مع الرواية، وتستهويهم غرابة الأخبار، فينتهي بهم ذلك إلى الإسرائيليات الخاطئة الكاذبة، وقد أدخلوا بصنيعهم هذا على المسلمين ضررا عظيما، وعلى التاريخ فسادا كبيرا.

هـ- وأصحاب المذاهب العقلية إذا تعاطوا التفسير، لا يتوسعون إلاّ في الاستدلالات العقلية على إثبات الصفات أو نفيها، وعلى الغيبيات والنبوات وما يتعلق بها.

و والنحاة والباحثون في أسرار التراكيب لا يفيضون إلاّ في توجيه الأعاريب أو نكت البلاغة كما يفعل الزمخشري، وأبو حيان.هكذا فعل القدماء والمحدثون بالقرآن، حكموا فيه نحلهم ومذاهبهم وصناعاتهم الغالبة عليهم، فأضاعوا هديه وبلاغه، وأبعدوا الأمة عنه؛ وصرفوها عن حكمه وأسراره. ولو ذهبنا مذهب التحديد في معاني الألفاظ الاصطلاحية لوجدنا المفسر من هؤلاء قليلا.

ز- أما المفسرون الذين يصدق عليهم هذا الوصف: فهم الذين يشرحون بحق فقه القرآن، ويستثيرون أسراره وحكمه، معتمدين على القرآن نفسه، وعلى السنة، وعلى البيان العربي، كما أشرنا إلى ذلك قبلاً.

ومن هؤلاء من اقتصر على الأحكام فقط كابن العربي، والجصاص، وعبد المنعم بن الفرس، وهؤلاء الثلاثة هم الذين انتهت إلينا كتبهم.

ومنهم من عمم، ولكن توسعه ظاهر في الأحكام، وأحكام العبادات والمعاملات، كالقرطبي، وابن عطية، وأضرابهما.

وكان جمود، وكان ركود، وضرب التقليد بجرانه، فقضى على ذكاء الأذكياء وفهم الفهماء، إلى أن أذن الله للعقل الإسلامي أن ينفلت من عقال التقليد، ويستقل في الفهم، وللنهضة العلمية الإسلامية أن يتبلج فجرها، ويعم نورها.

**فكانت إرهاصات التجديد لهذا العلم ظاهرة في ثلاثة** من أذكى علمائنا وأوسعهم اطلاعا:

الشوكاني، والألوسي، وصديق حسن خان، مع تفاوت بينهم في قوة النزعة الاستقلالية، وفي القدرة على التخلص من الصبغة المذهبية التقليدية.

ثم كانت المعجزة بعد ذلك الإرهاص بظهور إمام المفسرين بلا منازع "محمد عبده" أبلغ من تكلم في التفسير، بيانا لهديه، وفهما لأسراره، وتوفيقا بين آيات الله في القرآن، وبين آياته في الأكوان، فبوجود هذا الإمام وجد علم التفسير وتم، ولم ينقصه إلاّ أنه لم يكتبه بقلمه كما بينه بلسانه، ولو فعل لأبقى للمسلمين تفسيرا لا للقرآن بل لمعجزات القرآن، ولكنه مات دون ذلك. فخلفه ترجمان أفكاره ومستودع أسراره "محمد رشيد رضا" فكتب في التفسير ما كتب، ودون آراء الإمام فيه، وشرع للعلماء منهاجه، ومات قبل أن يتمه. **فانتهت إمامة التفسير بعده في العالم الإسلامي كله، إلى أخينا وصديقنا، ومنشئ النهضة الإسلامية العلمية بالجزائر، بل بالشمال الإفريقي "عبد الحميد بن باديس".**

**خصائص التفسير الباديسي:**

كان للأخ الصديق "عبد الحميد بن باديس" رحمه الله ذوقا خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها. يرفده- بعد الذكاء المشرق، والقريحة الوقادة، والبصيرة النافذة- بيان ناصع، واطلاع واسع، وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية، وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه.

يمد ذلك كله شجاعة في الرأي، وشجاعة في القول، لم يرزقهما إلاّ الأفذاذ المعدودون في البشر.

وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم، والإصلاح، والتربية والتعليم: وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلاّ بالرجوع إلى هدايته والاستقامة على طريقته، وهو رأي الهداة المصلحين من قبله.

وكان يرى- حين تصدى لتفسير القرآن- أن تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم؛ لذلك آثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فتتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء، وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد.

وكان- رحمه الله- يستطيع أن يجمع بين الحسنيين، لولا أنه كان مشغولا مع ذلك بتعليم جيل، وتربية أمة، ومكافحة أمية، ومعالجة أمراض اجتماعية، ومصارعة استعمار يؤيدها.

فاقتصر على تفسير القرآن درسا ينهل منه الصادي، ويتزود منه الرائح والغادي، وعكف عليه إلى أن ختمه في خمس وعشرين سنة. ولم يختم التفسير درسا ودراية بهذا الوطن غيره، منذ ختمه "أبو عبد الله الشريف التلمساني" في المائة الثامنة.

كان ذلك الأخ الصديق رحمه الله يعلل النفس باتساع الوقت وانفساح الأجل حتى يكتب تفسيرا على طريقته في الدرس. وكان كلما جرتنا شجون الحديث إلى التفسير، يتمنى أن نتعاون على كتابة التفسير، ويغريني بأن الكتابة علي أسهل منها عليه.

ولا أنسى مجلسا كنا فيه على ربوة من جبل تلمسان في زيارة من زياراته لي، وكنا في حالة حزن لموت الشيخ "رشيد رضا" قبل أسبوع من ذلك اليوم، فذكرنا تفسير المنار، وأسفنا لانقطاعه بموت صاحبه فقلت له: «ليس لإكماله إلاّ أنت». فقال لي: «ليس لإكماله إلاّ أنت». فقلت له: «حتى يكون لي علم رشيد، وسعة رشيد، ومكتبة رشيد، ومكاتب القاهرة المفتوحة في وجه رشيد». فقال لي واثقا مؤكدا: «إننا لو تعاونا وتفرغنا للعمل لأخرجنا للأمة تفسيرا يغطي على التفاسير من غير احتياج إلى ما ذكرت».

ولما احتفلت الأمة الجزائرية ذلك الاحتفال الحافل بختمه لتفسير القرآن عام 1357هـ، وكتبت بقلمي تفسير المعوذتين مقتبسا من درس الختم، وأخرجته في ذلك الأسلوب الذي قرأه الناس في مجلة الشهاب أعجب به أيما إعجاب؛ وتجدد أمله في أن نتعاون على كتابة تفسير كامل، ولكن العوارض

باعدت بين الأمل والعمل سنتين. ثم جاء الموت فباعد بيني وبينه. ثم ألحت الحوادث والأعمال بعده، فلم تبق للقلم فرصة للتحرير ولا للسان مجال في التفسير ... وإنا لله (طمس).

لم يكتب الأخ الصديق أماليه في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئاً منها، وضاع على الأمة كنز علم لا يقوّم بمال، ولا يعوض بحال، ومات فمات علم التفسير وماتت طريقة "ابن باديس" في التفسير.

ولكن الله تعالى أبى إلاّ أن يذيع فضله وعلمه. فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس، وكان ينشرها فواتح لأعداد مجلة "الشهاب" ويسميها "مجالس التذكير"، وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له، كما أنها نموذج من أسلوبه الكتابي.

هذه المجالس العامرة هي التي تصدّى الأخ الوفي السيد "أحمد بوشمال"، عضد الإمام المفسر وصفيه، وكاتبه والمؤتمن على أسراره لتجريدها من مجلة الشهاب ونشرها كتاباً مستقلاً؛ قياماً بحق الوفاء للإمام الفقيد، وإحياء لذكراه أخرج أشرف أثر من آثاره، يستروح القراء منه نفحات منعشة من روح ذلك الرجل العظيم؛ ويقرءونه فلا يزيدهم عرفاناً بقدره، فحسبهم ما بنى وشاد، وعلم وأفاد، وما ربى للأمة من رجال كالجبال، وما بث فيها من فضائل وآداب، وما أبقى لها من تراث علمي خالد؛ لا يرثه الأخ عن الأخ، ولا الولد عن الوالد.

وشكراً للأخ الوفي "أحمد بو شمال" على هذا العمل الذي هو عنوان الوفاء 1367هـ-1948م.
محمد البشير الإبراهيمي".[1]

وهذه بعض نصوص الإمام الإبراهيمي يفسِّر فيها بعض الآيات القرآنية جمعتها من آثاره، إذ يقول مثلا في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ (النحل: ٩٠): هذه الآية هي دستور الإسلام العام وهذه الآية هي التي نواجه بها كل من رمانا بالتعصب أو بالظلم أو بالأنانية أو بالقسوة. وصدى هذه الآية هو الذي سمعه الناس مردّدًا في الجامع الأخضر خمسًا وعشرين سنة آخرها أمس... وهي آية جامعة للجناحين اللذين يطير بهما الإنسان وهما الأمر

---

[1]: آثار ابن باديس، عمار طالبي، ج:01، ص: 1.21/16

والنهي، وما زالت سعادة الإنسان وشقاؤه معلّقين على ما يفعله وما يتركه، فيسعد إذا فعل الخير، ويشقى إذا عكس القضية"[1].

وكما في قوله تعالى:" چ ـد ـد ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ(إبراهيم: ٥٢)": ومن تفقّه في أسماء القرآن كان له الحظ العلمي والعملي، ذكّرني هذا قوله تعالى: {هَذَا بَلَاغٌ ... }، فقد سماه الله كتابًا، وقرآنًا، وفرقانًا، وذكرًا، وبلاغًا، ونورًا. فتسميته له بالكتاب تنبيه لنا بما في الكتابة والخط من الفوائد لنكون أمّة كاتبة، فإن أول ميزان توزن به الأمة هو ما فيها من النسبة المائوية بين الذين يكتبون والذين لا يكتبون. هذا هو الحظ العلمي، أما العملي فقد نفّذ النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك في قصّة أسرى بدر. وتسميته بالقرآن تنبيه لنا بما في القراءة من فوائد بعد معرفة الكتابة، لأنهما الأساسان اللذان تنبني عليهما أمور الدنيا والآخرة.

وتسميته بالفرقان لينبهنا بالعلوم الكونية والعلوية لنفرّق بين الأسباب الشرعية والكونية، أما الذي يكتب ويقرأ ولكنه لا يفقه أسرار الكون فإن كتابته وقراءته حجّتان عليه. وتسميته بالذكر لأنه كتاب غير خارج عن سنّة الوجود، ولأنه يكشف لنا الحجب عما حجب عنا، فمن رام أن يذكر الناس فالقرآن هو الذكر. وتسميته بالنور لأنه يكشف لنا عن الحقائق المعنوية كما أن النور يكشف عن الحسّيات...

السورة التي ختمت بهذه الآية الجامعة الفذة هي سورة إبراهيم عليه السلام، وما أكثر السور التي ذكر فيها إبراهيم وقُصَّ فيها قصص إبراهيم، وما أحق الكثير منها بأن يسمى بهذا الاسم، لما فيها من زيادة التفصيل في أصل دعوته، ومُحاجته لقومه أو مُحاجة قومه له، أو لما فيها من غرابة الحادثة وَروْعة سياقها كقصة ابتلائه بذبح ولده في سورة الصافات، وقصة تبشير الملائكة له ولزوجته بالولد، بعد أن مسّهما الكِبرُ في سورة هود. وهاتان الحادثتان أغربُ من حادثة بناء الكعبة المذكورة في هذه السورة، وفي سورتي البقرة والحج، وإن كان بناء الكعبة أعظم منهما أثرًا وأيسرَ ذكرًا، ولكن تسمية السُّوَر القرآنية ليست بالهوى والتّشهّي، والمناسبات الفنية، والاعتبارات الذوقية، والملاحظات الاصطلاحية، وإنما هي توقيف من رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، فحسْبُنا فيها الاتباع.

1 : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، ج:01، ص: 316.

وهذه السورة التي ختمت بهذه الآية بُدِئت بقوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڎ ڎ چ (إبراهيم: ١) وإنَّ استهلالَ سورة نسبت إلى إبراهيم واختتامَها بالتنويه بكتاب الإسلام، لَإشْعارٌ لنا بالصلة الوثيقة بين دين إبراهيم ودين الحق الذي جاء هذا الكتاب لبيانه، وبالأصالة العريقة التي انفرد بها هذا الدين الحنيف، تلك الأصالة التي قرّرتها آيات من القرآن في توحيد الله وفي تقرير سُننه في الخَلق والتكوين والجزاء وسرائر البشر، قال تعالى: چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ئد ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ بم بى □ □ □ □ تم □ □ □ □ ثم ثم چ (النجم: ٣٦ – ٤١) وقال تعالى، بعد أن ذكر طائفة من شؤونه في خلْقه: چ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ چ (الأعلى: ١٨ – ١٩) وقال: چ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ (الحج: ٧٨) فإبراهيم الّذي جعله الله إمامًا للناس هو الأب الروحي لكل من أسلم قلْبَه ووجْهه لله، وقد أخرج الله من صلبه طائفتين عظيمتين كانتا في تاريخ العالم الإنساني مظهرًا لدين الله في الأرض: بنى إسرائيل، والعرب، وإن كانت الطائفتان مُتَفَاوِتَيْنِ كلَّ التفاوت في فهم الدين، وتذوقه، وتحمّله، وأدائه، والائتمان عليه، بتفاوت الاستعداد والزمن، وظهور الرسالة، وقوّة الاضطلاع، واستحقاق الاستخلاف والتَّمكين..."[1].

كل هاته النماذج تدلل على الإتجاه الإصلاحي الذي ينشده الإمام الإبراهيمي في تفسيره، وأنه كان يتقصد تفسير القرآن بالقرآن أولا، ويحاول تطبيق آياته وتنزيلها على واقعه، مصلحا به ومرشدا، وأنه يتذوق الآيات القرآنية بمدولها اللغوي والبياني، فيفسرها رابطا لها بواقعه المعاش.

رحم الله الإمام البشير الإبراهيمي وأنزل عليه شآبيب الرحمة والرضوان، وجزاه عنا خير الجزاء.

**المحاضرة السابعة:**

: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، ج:01، ص: 1.393/389

**أولا: أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت:1199هـ):**

الإمام العَلم الفقيه، الأصولي، المتكلم، المنطقي[1]، من قلعة بني حماد، "أوحد الفضلاء وأعلم النبلاء، العلامة المحقق الفهّامة المدقق الفقيه النبيه الأصولي المعقولي المنطقي"[2]، كما حلاه الجبرتي(ت: 1237هـ) صاحب الرحلة تحلية كبيرة، تدل على كبير سلطانه وعظيم عطائه، وذكر له المجالس التي كان يعقدها في الأزهر الشريف[3].

لا يُعلم تاريخ ولادته، ولا ظروف نشأته التاريخية والسياسية، ولا طريقة تعلمه، ولا نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يحدثنا عن نشأته العلمية الأولى، إلا ما وجدته من نص تحدَّث عن بعض جوانب حياته في الرحلة الجبريتة، إذ يقول الجبرتي:" قدم إلى مصر في سنة 1154هـ وكان لديه استعداد وقابلية، وحضر أشياخ الوقت مثل البليدى والملوى والجوهرى والحفني والشيخ الصعيدى واتحد بالشيخ الوالد وزوجه زوجة مملوكه مصطفى بعد وفاته، وهي خديجة معتوقة المرحوم الخواجا المعروف بمدينة، وأقامت معه نحو الأربعين سنة، حتى كبر سنها وهرمت وتسرى عليها مرتين، ولما حضر المرحوم محمد باشا راغب واليا على مصر اجتمع به ومارسه وأحبه، وشرح رسالته التي ألفها في علم العروض والقوافي، ولما عزل راغب وذهب إلى دار السلطنة وتولى الصدارة، سافر إليه المترجم فأجلَّه وأكرمه ورتب له جامكية بالضربخانة بمصر، ورجع إلى مصر وتولى مشيخة رواق المغاربة ثلاث مرات بشهامة وصرامة زائدة.

وسبب عزله في المرة الوسطى أن بعض المغاربة تشاجر مع الشيخ علي الشنويهي وانتصر هو للمغاربة لحمية الجنسية، ونهر الشيخ علي، فذهب الشيخ علي واشتكاه إلى علي بك في أيام إمارته فأحضره علي بك **فتطاول على الشيخ علي بحضرة الأمير**، وادعى الشيخ علي بأنه لطمه على

---

1: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت،دط، دت، ج: 03، ص: 267.

2: شجرة النور الزكية في معرفة علماء المالكية، محمد بن سالم المخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 2003م،ج: 01، ص: 495.

3: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ج: 01، ص: 601.

وجهه في الجامع، فكذَّبه المترجَم، فحلف الشيخ علي بالله على ذلك، فقال له المترجَم: احلف بالطلاق، فاغتاظ منه الأمير علي بك، وصرفهما وأرسل في الحال واحضر الشيخ عبد الرحمن"[1].

كما وجدتُ أن الشيخ المخلوف(ت:1360هـ) في شجرته قد أورد نصا تحدَّث فيه عن حياة الشيخ، إذ يقول:" قدم مصر سنة1154هـ وكان لديه استعداد وقابلية، وحضر أشياخ الوقت كالبليدي والملوي والجوهري والحفني والصعيدي، واتحد بالشيخ حسن الجبرتي وانتفع به، تولى مشيخة المغاربة مرتين أو ثلاثاً بشهامة وصرامة، كان وافر الحرمة نافذ الكلمة معدوداً من المشايخ الكبار، مهاب الشكل، منور الشيبة مترفهاً في ملبسه ومأكله، له تآليف وتقاييد وحواش نافعة، منها: حاشية على الأخضري على السلم، وحاشية على رسالة الكرماني في علم الكلام، في غاية الدقة تدل على رسوخه في علم المنطق والجدل والمعاني والبيان والمعقولات، وشرح على ديباجة أم البراهين، وله ذيل الفوائد وفرائد الزوائد على كتاب الفوائد والصلات والعوائد وخواص الآيات والمجربات، التي تلقاها من أفواه الأشياخ، وكتاب في خواص سورة يس، وغير ذلك، كان سليم الباطن مع ما فيه من الحدة إلى أن توفي في ربيع الأول سنة:1199هـ/1784م"[2].

**قلتُ**: وغير ما كتب الشيخ المخلوف الذي كان ناقلا بعض كلامه عن الرحالة الجبرتي، لم أجد من ترجم له وتحدَّث عنه. وكل من ترجم له من المعاصرين كان ناقلا عن الجبرتي المتوفى سنة:(ت: 1237هـ).

**صلته بالتفسير وعلومه:**

لا نملك من المصادر والمراجع المخطوط منها والمطبوع ما يمكننا الحديث به عن صلة الإمام القلعي بالتفسير وعلومه، فالمادة العلمية كانت شحيحة جدا، غير أن الإمام المخلوف والرحالة الجبرتي قد ذكرا له تصنيفا بعنوان: خواص سورة يس.

وهو مخطوط مفقود، لم أجده، وبغيابه لا يمكننا الحكم على طريقة تعامل الإمام القعلي مع الآي القرآني الكريم، ولا أسلوبه في ذلك، رحمه الله تعالى.

---

: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، ج: 01، ص: 1.601

: شجرة النور الزكية في معرفة علماء المالكية، محمد بن سالم المخلوف، ج:01، ص: 2.495

**ثانيا: يوسف أوالحاج[1]حمُّو بن عدُّون، أبو يعقوب،(ت:1252هـ):**

يوسف أوالحاج حمُّوبن عدُّون، من علماء بني يسجن، وأوائل رجال النهضة العلميَّة الحديثة بميزاب، ولد ببني يزقن في أواخر سنة 1158هـ، سافر إلى الحجِّ سنة 1205هـ، ولمَّا رجع أقام بالقاهرة أربع سنواتيأخذ عن شيوخ الأزهر وينسخ الكتب النفيسة، وعاد إلى وطنه ليشتغل بالتأليف والإصلاح بين الناس إلى أن توفي سنة:1252هـ.

تولَّى رئاسة مجلس عزَّابة بني يسجن وقضاء المدينة،حلَّاه صاحب «معجم أعلام الإباضية» بالقول:"من العلماء العاملين"[2]من **شيوخه:** أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي[3]، وعبد العزيز الثميني[4]، الذي استخلفه في مسجد بني يسجن مقيما للدروس والمحاضرات، بعد أن أسندت إليه مهمَّة مشيخة العزَّابة.

**ممن تتلمذ** عليه:بلحاج بن كاسي القراري[5]، والحاج سليمان بن عيسى يحي[6]،والحاج سعيد بن يوسف وينتن[7] وغيرهم، وقد تركآثارا جليلة عديدة منها: «مختصر كتاب الطهارات»، و«معجزات

---

1: أوباليزابية تعني ابن. ذكره في «معجم أعلام الإباضية» ج: 2، ص: 128.

2:معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، محمد بن موسى باباعمي وآخرون، ج: 2، ص: 129.

3: من كبار المشايخ في وادي ميزاب إبان النهضة الحديثة، من بني يسجن بميزاب، من أحفاد الشيخ باسَّه وافضل (ت: 828هـ).تلقَّى مبادئ العلوم في مسقط رأسه ببني يسجن، ثمَّ قصد جربة ثمَّ انقطع للشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي نزيل جربة. عاد إلى وطنه ميزاب حوالي سنة 1157هـ بعد إلمامه بعلوم كثيرة. ترك ما لا يقلُّ عن 20 نصا بين رسالة وحاشية، توفي سنة: 1202هـ. انظر: "نهضة الجزائر الحديثة"ج:1، ص: 254. و"معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 460.

4: من بني يسجن بميزاب، ولد ونشأ بها، وحفظ القرآن ببلدته، ثمَّ سافر إلى وارجلان ليدير أملاك والده بها حتَّى سنِّ الثلاثين، تتلمذ على يد الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي ولازمه في حلقاته إلى أن نبغ في علوم اللغة العربيَّة والشريعة والمنطق وغيرها.خاض مع شيخه معركة الإصلاح في المجتمع، فلاقى من أجل ذلك أذى كثيرًا، فكان ذلك العهد بداية للحركة الإصلاحيَّة التغييريَّة بوادي ميزاب، له تآليف عديدة، توفي سنة: 1223هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 256.

5: بالحاج بن كاسي ابن امحمد القراري، المعروف بالشيخ بالحاج، ولد سنة:1130هـ بالقرارة، من علماء القرارة، يعتبر ثالث شيخ قراري تولَّى المشيخة العامَّة للوادي، كان شيخ القرارة ومحييها، تصدَّى للتدريس ونشر العلم، وقد ترك مكتبة زاخرة بالمخطوطات النفيسة، تحوي الكثير من منسوخاته. توفي سنة 1243هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 81.

6: سليمان بن عيسى اليسجني، آل الشيخ، أحد علماءبني يسجن بميزاب، عيَّن عضوا في حلقة العزَّابة، وكان كاتباً لاتِّفاقاتهموقراراتهم، ثمَّ تولَّى مشيخة بني يسجن خاصَّة، وميزاب بصفة عامَّة. له مدرسة علمية خرَّجت علماء كبار، كما كان مهتمَّاً بشؤون الدفاع تحسُّباً لأيِّ هجوم خارجيٍّ.من أحفاده مفدي زكرياء شاعر الثورة التحريرية. وإليه ينتهي نسب آل الشيخ ببني يسجن. كان حيا بين: 1230-1265هـ.انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 210.

الرسول»، و«قصيدة» في العقائد والفقه ذكر الحاج سعيد أن فيها ثمانية وأربعين ألف بيتٍ[1]، و«القصيدة الحجازية» التي حوت 345 بيتا، و«بيان في بعض التواريخ»، و«شرح البائية»في الحكم والمواعظ، وغيرها.

## صلته بالتفسير وعلومه:

لم تذكر المصادر التاريخية اشتغاله بالتفسير وعلومه تدريسا، ولا نُقل عن أحد من تلامذته أنه أشار إلى دروسه التفسيرية أو نَقل نماذج من ذلك،غير أنه خدم التفسير تأليفا، فله «حاشية» في التفسير ذكر صاحب المعجم أنها مخطوطة، وأن نسختها موجودة بمكتبة الشيخ إبراهيم حفَّار، دون إشارة منه لرقمها أو إلى التفسير الذي قام بوضع هذه الحاشية عليه، غير أن صاحب «معجم المفسرين»أشار إلى أنها «حاشية على أنوار التنزيل»للبيضاوي.[2]

وبعد الرحلة التي قمتُ بها لمنطقة غرداية، والبحث في مكتباتها العامة والخاصة وسؤال أهل الاختصاص في هذا الفن، أجمعوا على أنه خطأ في الترجمة، وأنه لم يُعلم للشيخ «حاشية على أنوار التنزيل»للبيضاوي، وأن مصدر نويهض في إفادته بأن الحاشية على البيضاوي كان تخمينا منه لا غير.

غير أني وجدت أن الشيخ يوسف بن بكير قد ذكر في مؤلفاته أن له"حاشية للبيضاوي في التفسير"[3]، وظهر لي أن الأخير قد أخذ عن نويهض، ولا يسعني في هذا المقام إلا إثبات ما أثبتته المصادر الإباضية، من أن له حاشية على تفسير، وترك الجزم في أي تفسير كانت هاته الحاشية.

وبغياب نسخة المخطوط وفقده لا يمكن بيان أسلوب الإمام ابن عدون ولا منهجه التفسيري، وكيفية تحشيته، وهل التزم ما التزم به الإمام المصعبي—مثلا- من ذكر العقائد المخالفة للفرق الأخرى، وتطرقه لعلوم التفسير والقرآن التي آتى عليها في تحشيته على الجلالين.

---

7: سعيد بن يوسف بن عدون اليسجني، وينتن، المعروف بـ الحاج سعيد أن بافو، من حكماء زمانه في بني يسجن، كان منأوائل من انتقل إلى مدينة تونس ليأخذ العلوم العقلية، وإلى جربة لينهل من العلوم النقلية.رجع إلى ميزاب – بعد أكثر من ثلاثة أعوام قضاها في التعلم –، فتولَّى التدريس والوعظ والإرشاد، كان حيا سنة:1367هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 187.

1: تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير، ص: 118.

2: معجم المفسرين، ج:2 ص: 748.

3: تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير، ص: 118.

**المحاضرة الثامنة: محمد بن علي السنوسي الخطابي الجزائري الحسني الإدريسي ت:1276هـ:**

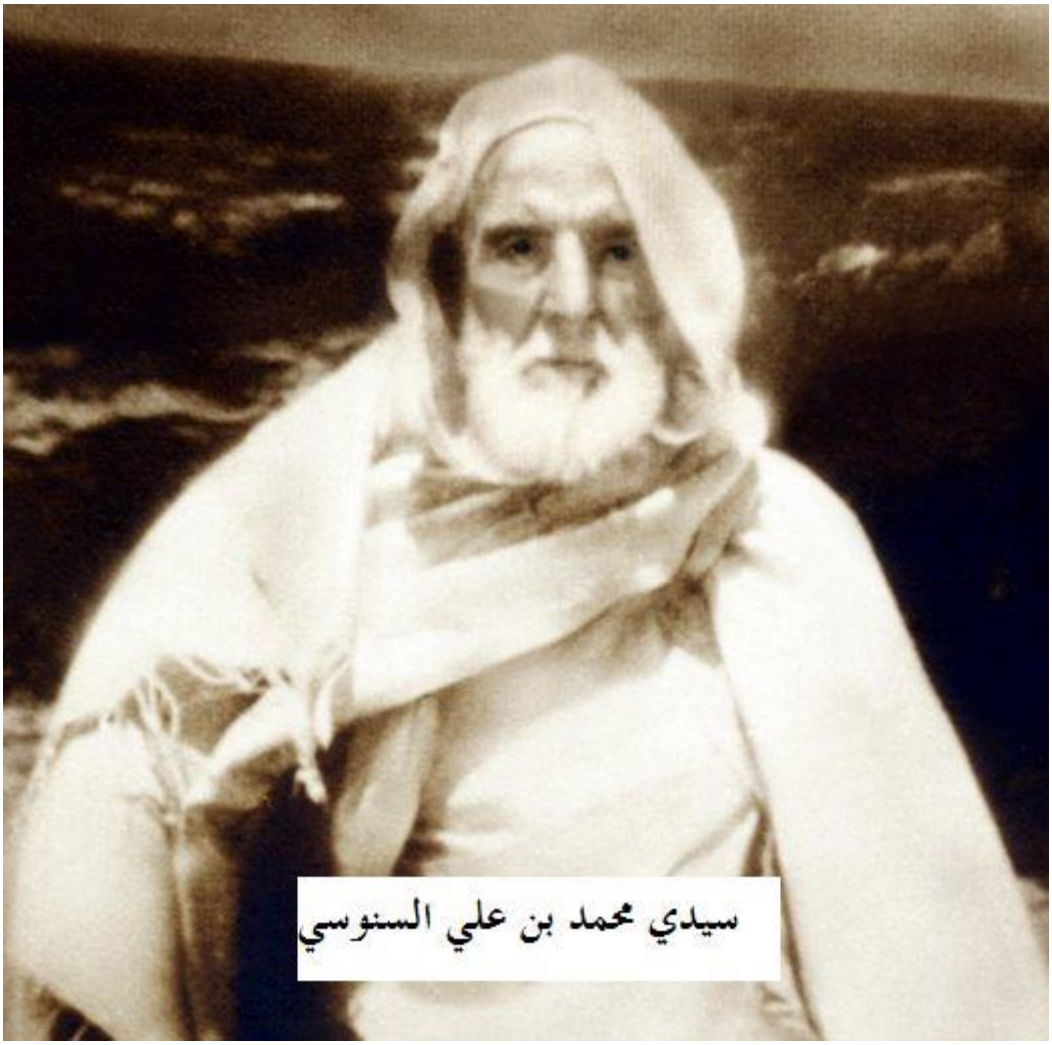


إمام الدنيا في زمانه، أبو عبد الله، مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم يوم الاثنين 12 ربيع الأول 1202هـ/21 ديسمبر.1787م ونشأ في بيت علم ودين وفضل، تُوفي والده وعمره سنتان وأعقبته والدته بقليل وتركاه صغيراً، فتولت كفالته عمته فاطمة الزهراء بنت السنوسي بن العربي بوصية من والدة أخيها علي، وكانت تتصدر للإفادة والتدريس والإرشاد كما كان يقصدها طلاب العلم من بلدان بعيدة للأخذ عنها والاستفادة منها، حلَّاه في "شجرة النور" بالقول:" صاحب الجبل الأخضر الشهير الذكر الرفيع القدر شيخ الإسلام والمسلمين وارث علوم سيد الأولين والآخرين الفقيه الحافظ العالم العامل المحدّث الجامع الولي المقرب الواصل شهرته شرقاً وغرباً تغني عن التعريف به، له صيت عظيم في الجهات وذكر جميل وكرامات، متين الدين، أتباعه يعدون بعشرات الملايين منتشرون

باليمن والحجاز والشام والسودان ومصر وصحراء إفريقية والجهات الغربية ومركزه الجبل الأخضر بجغبوب القريب من بني غازي"[1].

تنقل في البلاد العربية وزار تونس وطرابلس وبرقة ومصر ومكة، وفي هذه تصوف[2]، رحل إلى فاس 1828م والتحق بجامع القرويين وحصل على المشيخة الكبرى، وعُين مدرسا بالجامع الكبير بمدينة فاس، ودرس فيها الطرائق القادرية والناصرية والحبيبية والشاذلية والجازولية، ولكن دعوته إلى جمع المسلمين أقلقت حكومة السلطان، فرحل أواخر عام 1829م إلى عين ماضي حيث درس بها الطريقة التيجانية، ثم قصد مدينة الأغواط في جنوب الجزائر.

بعد احتلال فرنسا للجزائر قرر السفر شرقا ليطلع على أحوال العالم الإسلامي ويحج بيت الله فزار قابس وطرابلس وبنغازي ثم بلغ مصر عام 1239هـ فلم يجد فيها الأمل الذي كان يتمنى، وذلك لحكم محمد علي باشا القائم على ضرب شيوخ الأزهر بعضهم ببعض وسلبهم المنزلة الرفيعة التي كانت تتيح لهم بزعامة عمر مكرم أن يصرفوا شؤون البلد بما تقتضيه شريعة الله في قوة وحزم، فلم يمكث بها كثيرا، فغادر إلى مكة المكرمة حيث التقى بالشيخ أحمد بن إدريس الفاسي، الذي كان رئيسا للخضيرية، فاجتمع به ولازم دروسه حتى ارتحل معه إلى صبيا فسار معه وأقام بها حتى توفي ابن إدريس سنة 1835م[3].

وفي سنة:1257هـ رحل إلى برقة وأقام في الجبل الأخضر وبنى "الزاوية البيضاء"، فعمت الدعوة السنوسية ليبيا، انتقل إلى زاوية الجغبوب سنة:1273هـ فأقام بها إلى أن توفي فيها يوم الخميس 09 صفر الخير 1276 هـ، الموافق 08 سبتمبر 1859 م، و خلّف أنجالا، و أربعين تأليفا و رسالة، نذكر منها:

1 إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث و القرآن. 2 البُدور السّافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة.
3 الكواكب الدُّرّيّة في أوائل الكتب الأثريّة.4 الشُّموس الشّارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة و

1: شجرة النور الزكية في معرفة علماء المالكية، محمد بن سالم المخلوف، ج:01، ص: 570-571.
2: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج:06، 299.
3: من مقال: محمد بن علي السنوسي/ https://ar.wikipedia.org/wiki

المشارقة.5 التُّحفة في أوائل الكتب الشّريفة.6 شفاء الصّدر 7 بُغية القاصد.8 الدُّرر السّنيّة في أخبار السّلالة الإدريسيّة. 9المنهل الرّائق في الأصول و الطّرائق...وغيرها كثير، وغالبها مطبوع.

**صلته بالتفسير وعلومه:**

خدم الإمام السنوسي التفسير بمؤلفه المشهور: « نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن»[1]، وهي نسخة جاءت في: 24 لوحة، ومسطرتها 25، بخط نسخي دقيق، ذكر أنها حوت "مقدمة وخاتمة وثلاثة أبواب"[2]، أما المقدمة فقد جعلها لمعنى وتعريف التفسير والتأويل لغة واصطلاحا والفرق بينهما.

ثم ذكر في الباب الأول: شروط تعاطيه –التفسير– والتصدي له، وأورد الخلاف في حكم تفسير القرآن أصالة، وهل يجوز الخوض فيه أم لا؟ وأورد حجج كل فريق بأدلته، ليرجح القول بالجواز رادا على أدلة القائلين بالمنع مطلقا إلا ما جاء بنص نبوي، بعد أن توسع شرحا في أمر المحكم والمتشابه وتعريفهما وحكم تفسير آياتهما، مرجحا أيضا جواز تفسير المتشابه إن كان بسند عن النبيﷺ قائلا:"وهو الصواب".[3]

ثم أورد شروط المفسِّر التي عبَّر عنها أنها اختيار جمهور العلماء، وأورد الشروط الخمسة عشر التي في «الإتقان» وبنصها، غير أنه كان يذكر نص كلام السيوطي موجزا له، ثم يعقبه بكلام أبي حيان شارحا به غالبا، ويذكر كلام الزمخشري أحيانا.

ففي الشرط الثامن –مثلا– يذكر شرط: علم القراءات، الذي شرحه السيوطي بالقول:"لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض"[4]، ثم يعقب عليه الإمام السنوسي مباشرة بكلام أبي حيان إذ يقول:"قال أبو حيان:"وقد صنَّف علماؤنا في ذلك كتبا لا تكاد

1: نسخة الشيخ بوخبزة التطواني المغربي، على موقع: جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة، رقم :08 من مخطوطات المكتبة:
http://www.maghrawi.net/?taraf=Makhtotat&op=geninfo&did=832

2: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، نسخة الشيخ بوخبزة التطواني، لوحة:01.

3: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي،لوحة:02.

4: الإتقان في علوم القرآن،عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج:4، ص: 215.

تحصى، وأحسن الموضوعات في القراءات السبع كتاب «الإقناع» لأبي جعفر بن البَاذش[1]، وفي القراءات العشرة كتاب «المصباح» لأبي الكرم الشَّهرزوري[2]"[3]، ثم يضيف هو قائلا:"وأشهرها اليوم «النَّشر» لابن الجزري و«حرز الأماني» للشاطبي وشروحها كالجعبري".[4]

ثم ينتقل للشرط التاسع الذي نقله عن السيوطي بتمامه إذ يقول:"التاسع: أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز"[5]، ثم يعقب عليه شارحا بكلام أبي حيان أيضا إذ يقول:" قال أبو حيان: وقد صنَّف علماء الإسلام من سائر الطوائف في هذا كتبا كثيرة، وهو علم صعب، إذ المزلة فيه–والعياذ بالله– مفض إلى الخسران في الدنيا والآخرة".[6]

على سائر الشروط الخمسة عشر سار الإمام السنوسي بهذا المنهج عموما، وكان يبرز علمه ويظهر شخصيته في مؤلَّفه هذا بتعليقات وإضافات متعددة، كما في الشرط الثالث عشر مثلا، عند شرط الفقه، إذ يقول:"لأنه بمعرفته يستفيد طريق الاجتهاد، ومن تصرُّف الفقهاء في الحوادث وكيفية بعضها على بعض وما اتفق عليه وما اختلف ليعرف الإجماع كي لا يخرقه، فإنه حرام إن كان مستنده نصا وإلا فخلاف".[7]

وبعد أن أتم ذكر شروط المفِّسر الخمسة عشر التي ذكرها الإمام السيوطي، عقَّب عليها بالقول: وقد ردَّها أبو حيان إلى سبعة أوجه" ثم ذكرها مرتَّبَةً، ذاكرا لها بالأوجه لا بالشروط وهي:

---

1: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش: عالم بالقرآآت، أديب كان خطيب غرناطة، قرأ السبع على أبي الحسن بن كوثر، وقرأ عليه الحافظ محمد بن يوسف بن مسدي، توفي بعد:630هـ وقيل سنة:540هـ، له:"الإقناع في القرآآت السبع". انظر:"الأعلام"ج:01، ص:173، و"غاية النهاية في طبقات القراء"ج:1، ص:83.

2: المبارك بن الحسن بن أحمد الشَّهرزوري، أبو الكرم: عالم بالقراءات مجوّد لها، قال أبو محمد بن الخشاب: هو شيخ ثبت يقظ، صحيح السماع عارف بالقراءات، حسن الأداء لها سمعت منه بقراءتي عليه، صنّف " المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر "رواه من نحو خمسمائة طريق. توفي ببغداد سنة: 550هـ. انظر:"الأعلام" ج:05، ص: 270. و"غاية النهاية" ج:02، ص: 38.

3: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي،لوحة:10.

4:مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:10.

5: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، لوحة:10.

6: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:10.

7: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:10.

" **الوجه الأول**: اللغة، **الوجه الثاني**:معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من كتب النحو" ويعلِّق هو بالقول" يعني المشتملة على التصريف".[1]

**الوجه الثالث**: كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع. **الوجه الرابع**: تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول ونسخ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذلك من علم الحديث، وقد تضمنت الكتب والأمهات المدونة في ذلك.**الوجه الخامس**: معرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه هذا، ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن، ويؤخذ هنا من أصول الفقه، ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة، إذ هو شيء يتكلم فيه على أوضاع العرب، ولكن تكلم فيه غير اللغويين أو النحويين ومزجوه بأشياء من حجج العقول.**الوجه السادس**: الكلام فيما يجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه، والنظر في النبوة، ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى وفي الأنبياء وإعجاز القرآن، ويؤخذ هذا من علم الكلام.**الوجه السابع**: اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة، أو إتيانبلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات".

ثم عقَّب على هذا الحصر بالقول:" ثم اعلم أن ردَّه لهذه العلوم إلى هذه السبعة الأنواع أقرب إلى التحقيق، لأنها وإن كانت قريبا من خمسة عشر السابقة، لا توجد غالبا إلا في هذه الأنواع السبع، فإن التصريف الغالب عليه وجوده في كتبالنحو، والاشتقاق قد يوجد مع التصريف فكانا من قبيل واحد"[2]، ثم راح يبرر ويرجح مقولة أبي حيان في هذا الحصر، وهو دليل على حضور شخصيته العلمية.

ثم انتقل الإمام السنوسي إلى الباب الثاني والذي جعله بعنوان:آدابه في حال إتمامه، وهي عنونة تدل على آداب ما بعد تمام الشروط واستكمالها والتي اصطلحتُ عليها بالأهلية العلمية، ومراده من هذا الباب آدابه في فن التفسير من حيث تقديم العلوم وتأخيرها، سواء في العمل بها أو حتى تحصيلها، إذ يقول في مقدمة هذا الباب:" وحاصل ما لهم في هذا الباب أنه يجب على المفسِّر أولا

1: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:10.

2: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، لوحة:11.

تقديم اللغة ثم التصريف ثم النحو ثم الاشتقاق ثم الإعراب ثم المعاني ثم البيان ثم البديع ثم يشرع في المعنى المقصود من الآية لأن هذه العلوم كالباب الذي لا مدخل لها من غيره...".[1]

وضمَّن هذا الباب ما اصطلحتُ عليه بشروط الأهلية التدينية للمفسِّر، من صحة اعتقاد ولزوم سنة وتدين وتعبد وزهد وغيرها.

ثم انتقل إلى الباب الثالث، الذي جاء بعنوان: طبقات المفسرين، والذي تحدَّث فيه مطولا عن أربع طبقات باين فيها كل من سبقه في التفصيل في مسألة طبقات المفسرين كالسيوطي والزركشي والداودي وغيرهم، بل استدل على هذا التقسيم بحديث أفضلية القرون[2]، إذ يقول:" ثم إني أجعل ذلك على أربع طبقات:

**الأولى**: طبقة الصحابة المشار إليها بالقرن الأول.

**الثانية**: طبقة التابعين المشار إليها بالقرن الثاني.

**الثالثة**: طبقة تابعي التابعين المشار إليها بالثالث.

**الرابعة**: طبقة من جاء بعدهم إلى آخر الدهر".[3]

ثم شرع في تعريف كل طبقة وبيان أعلامها وطريقتها وبعض تصانيفها، كما تطرق لبعض المسائل الفرعية من حكم الأخذ بقول الصحابي، وحكمه حال التعارض مع آخر، ووصف في الطبقة الأخيرة

---

1:مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:11.

2: لحديث الخيرية والأفضلية طرق وروايات عدة، ويظهر أن الإمام السنوسي اعتمد رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه: {خير القرون القرن الذي أنا فيهم، ثم الثاني،ثم الثالث،ثم الرابع لايعبأ الله بهم شيئا}، لأن قول الإمام السنوسي:" المشار إليها بالثاني" وقوله:" والمشار إليها بالثالث" دليل على اختياره لهذه الرواية. وهو في حليةالأولياء عن زيد بن وهب برقم :5263.وعلَّق عليه بالقول: غريب من حديث الأعمش، لم يروه عنه إلا إسحاق.والحديث متفق عليه بلفظ:{خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته}. أخرجه البخاري،عن عبد الله بن مسعود، كتاب:الشهادات، باب: لايشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث: 2530.ومسلم،كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث :4706.

3: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، لوحة:15.

الكثير من المفسرين وأعمالهم التفسيرية ومناهجهم أكانوا مبتدعة أو غير ذلك، فخرج الباب الثالث غنيا بمباحثه ثريا بلمساته العلمية الفريدة.

ثم ختمها بخاتمة خصَّها بتفصيل القول في تفاسير الصوفية، وأسلوبهم في التعاطي مع الآي القرآني الكريم، وبيَّن المذموم منها والممدوح، ومثَّل لبعضها مستدلا بأقوال العلماء وبعض أعلام الطرائق الصوفية كصاحب «الفتوحات»والإمام الشعراني وغيرهم، وقد دندن حول إبراز مفهوم الباطن والظاهر للآية القرآنية في تفاسيرهم مدافعا عن أسلوبهم مبررا له في بعض الأحيان، وذاما لبعض شطحاتهم وخزعبلاتهم في بعضها الآخر، مبينا علل سقوطهم فيها.

ويبقى هذا العمل للإمام السنوسي من أبرز وألمع ما أُلِّف في بابه في التراث التفسيري وعلومه عند علماء الجزائر، ولحد الساعة لم تظهر لنا نسخة ثانية يمكن اعتمادها في إخراج هذا الكنز المدفون لعالم المطبوع، وحتى تلك اللحظة فإنه عملٌ جدير بأن تُشدَّ الرحال لطلب نسخته الثانية ولا غرو.

وقد قام الطالب عبد العزيز خضور، بقسم الكتاب والسنة تخصص التفسير وعلوم القرآن بتحقيق هذا المخطوط على نسخته الوحيدة، ونال به شهادة الماستر للموسم الجامعي: 2019/2018م.

**اللوحة الأولى والأخيرة من مخطوط: نزهة الجنان**

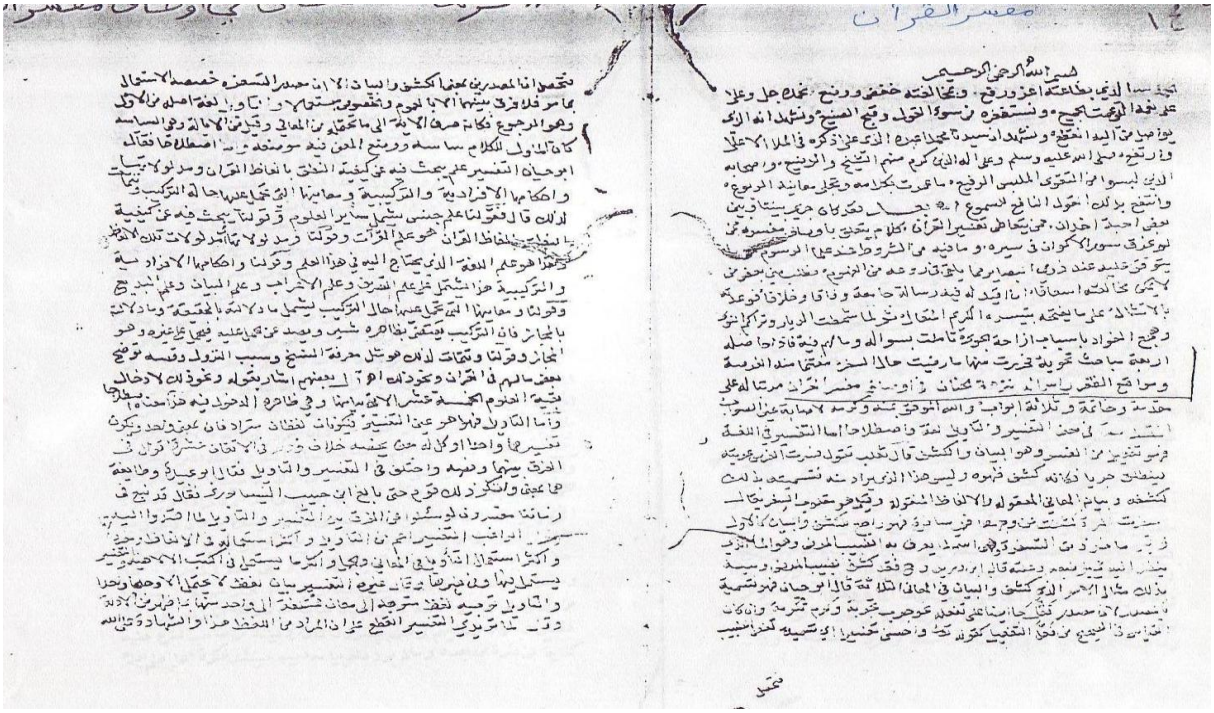

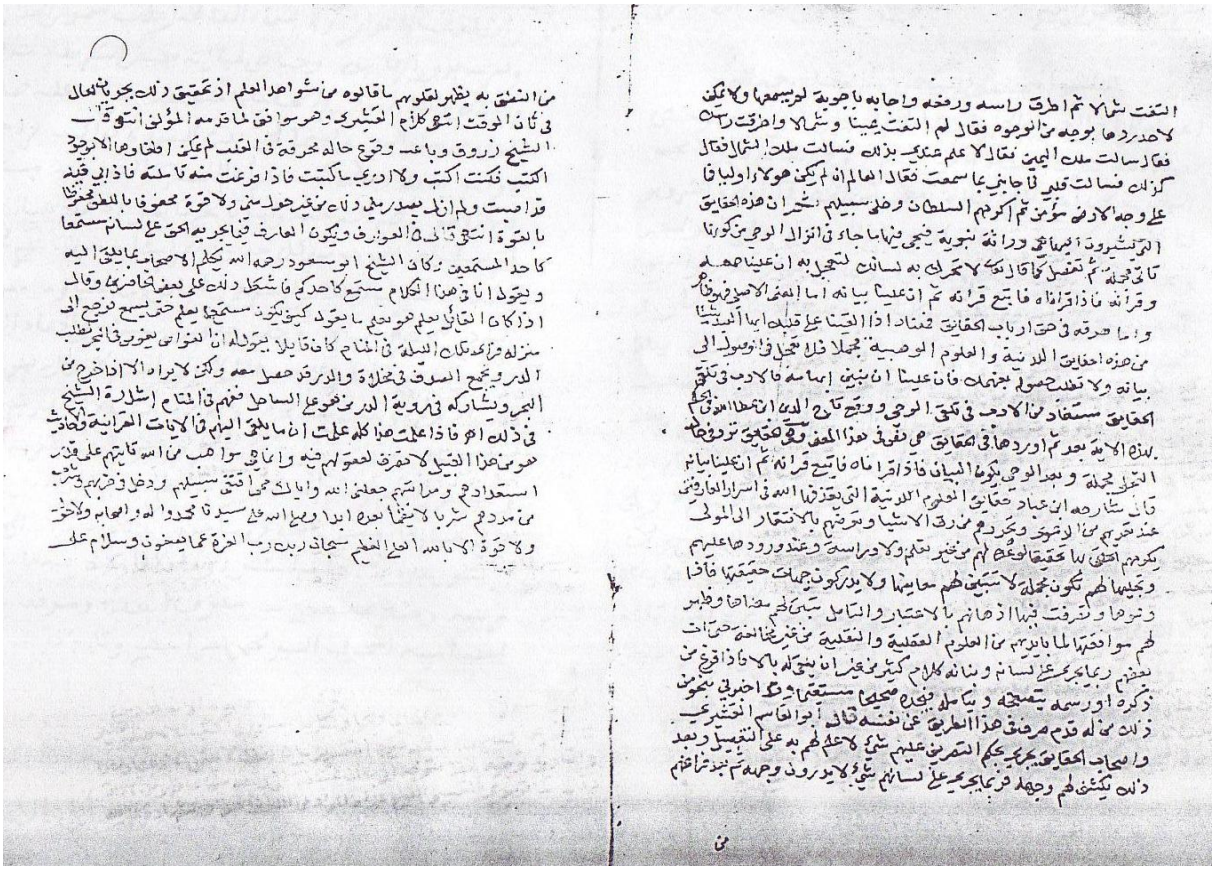

**المحاضرة التاسعة: محمد بن أحمد الراشدي المعسكري، أبو راس الناصري (ت: 1238هـ):**

محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي الجليلي المعسكري، المعروف بأبي راس، مؤرخ، حافظ، من العلماء بالحديث ورجاله، ولد بمعسكر سنة:1150هـ، وتوفي بها سنة:1238هـ،له مشاركة في الفقه والتفسير والأنساب وغير ذلك، رحل في طلب العلم فزار مصر والشام والحجاز وتونس والمغرب، فتنوع شيوخه وطلبته، فمن **شيوخه**:أحمد بن عمار الجزائري، والسنباوي الأمير ومحمد بيرم[1]، وعبد القادر المشرفي، ومرتضى الزبيدي، وغيرهم، وقد ألّف كتابه «فتح الإله ومنته» وذكر أشياخه والعلوم التي أخذها عنهم.

له مؤلفات تزيد على الخمسين منها: «الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات»، و«نيل الأماني على مختصر سعد الدين التفتازاني»، و«السيف المنتضى فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضى»،

1: محمد بن حسين بن أحمد بن بيرم، من أعيان الأسرة البيرمية بتونس، ولد سنة: 1130هـ، أقام مفتيا فيها خمسا وأربعين سنة. وشرع في عدة تصانيف، فلم يتم منها غير "بغية السائل باختصار أنفع الوسائل في تحرير المسائل للطرسوسي" في فقه الحنفية، و"رسالة في السياسات الشرعية" توفي سنة:1214هـ. انظر:"الأعلام" ج:6، ص:104، و"فتح الإله ومنته" ص: 81.

و«الأحكام الجوازل في نبذ من النوال»، و«المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك»، و«الكوكب الدري في الرد بالجدري» وغيرها، انظر في كتابه «فتح الإله ومنته» باب:"العسجد والإبريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز".

أحد رجالات التفسير ببلاد الجزائر، حلَّاه تلميذه ابن السنوسي بالإمام الحافظ الذي كان حافظاً متقناً لجميع العلوم[1]، أخذ التفسير عن جملة من المشايخ منهم الشيخ عبد المالك الحنفي المفتي الشامي[2] الذي أجازه برواية تفسير سورة النور.[3] و«تفسير ابن عطية» عن الشيخ محمد بن بنيس[4]،[5] والشيخ المفسر الأمير الكبير الذي أخذ عنه تفسير «الكشاف» بالأزهر الشريف.[6]

وكان صاحب صنعة تفسيرية وهو في وقت الطلب، فيذكر أنه كان بمجلس أحد المشايخ، حتى ورد قوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[الفاتحة:07]، فقلت: – بحضرة مجلسه بجامع الجزائر الأعظم– لم لا التفات في هذا الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة؟ فوقف، فقلت: المراد والله أعلم أن هذا وقع من جانب الأدب، لأن النعمة وقع بها الخطاب، ولا يناسب الخطاب بالغضب، ألا ترى إلى قول الخليل ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[الشعراء:78]ثم قال:ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ، ولم يقل: أمرضني، تأدبا مع أن المرض والشفاء من الله وحده، ومنه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[إبراهيم:36]، ولم يقل من عصاك تأدبا، وهذه أساليب القرآن التي ليست في طوق البشر، فترافعنا ساعة وافترق المجلس.[7]

---

1: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، ج:1، ص: 150.

2: لم أجد ترجمته.

3: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 118.

4: أبو عبد الله، أحد أعلام المغرب الأقصى، كان علامة مشاركا مدرسا مستحضرا، أخذ عنه عدة من علماء أجلة، له:"شرح على الهمزية" و"شرح على فرائض الشيخ خليل"، توفي سنة: 1214هـ، ودفن بروضة داخل باب عجيسة. انظر: "موسوعة أعلام المغرب"ج:7، ص: 2467.

5: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 106.

6: المرجع نفسه، ص: 60.

7: المرجع نفسه، ص: 96.

ولما قرأ القارئ بين يديشيخه أبي الربيع سليمان[1]، في سورة الأنبياء: **ﭽﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﭼ**[الأنبياء:72]، قال أبو راس: يا سيدي، الأولى من حقه أن يسكت شيئا ما عند **ﭽ ﯱ ﯲ ﯳﭼ**، ثم يبتدئ **ﭽ ﯱ ﯲ ﯳﭼ** فقال لي -أيده الله-: من أين لك ذلك؟ قلت: قال الشيخ إبراهيم عند قول الشيخ خليل في الحدود: وجرد الرجل والمرأة مما يقي الضرب، أن القارئ يقف عند ذكر الرجل، والمرأة مما يقي الضرب، على حد قوله تعالى: **ﭽﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﭼ**، لأن يعقوب ابن إسحاق، فهو حفيد الخليل عليهم الصلاة والسلام، فاستحسن ذلك مني.[2]

## صلته بالتفسير وعلومه:

خدم الإمام أبو راس الناصري التفسير تأليفا وتدريسا، فقد ذَكر كل من ترجم له أنه أَلَّف تفسيرا للقرآن الكريم،[3] وذكر الكتاني في «فهرس الفهارس» أن له إجازة برواية تفسير الإمام أبي راس من طريق تلميذه ابن السنوسي.[4]

وقد عقد في آخر كتابه«فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته» بابا عنوانه: العسجد والإبريز في عدة ما أَلَّفتُ بين بسيط ووسيط ووجيز، عدَّد فيه تآليفه في كل فن وعلم، فذكر القرآن الكريم أولافالحديث والفقه والنحو والمذاهب والتوحيد والتصوف واللغة والبيان والمنطق والأصول والعروض والتاريخ والأدب وختمها بالقصائد، وذكر في تآليف القرآن الكريم عنوانا مطولا هو «مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير» وذكر أنه :"في ثلاثة أسفار ما أبركها قربى، في كل سفر عشرون حزبا، طالما تكلمتُ فيه نقلا من كتاب شيخ أو فيه مع الزمخشري والبيضاوي وابن عطية وغيرهم، فيالها من عطية".[5]

---

1: أبو الربيع مولاي سليمان، سلطان المغرب الأقصى، كان علما من أعلام المغرب الأقصفي شتى الفنون، له: "شرح الموطأ" و"حاشية على شرح الخرشي" و"رسالة في الغناء"، توفي سنة: 1238هـ .

2: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 106-107.

3: "فهرس الفهارس"ج:1 ص:151، "الأعلام"ج:6 ص: 18، "تاريخ الجزائر الثقافي"ج:2 ص:18، "معجم المفسرين"ج:2 ص:487.

4:فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، ج:1، ص: 151.

5: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 179.

وذهب الدكتور أبو القاسم سعدالله –رحمه الله–إلى أن تفسير أبي راس للقرآن الكريم هو هذا العنوان المختوم: بـــ«التيسير إلى علم التفسير».[1]

**قلتُ**: أرى أن تفسيره للقرآن الكريم يعتبر قطعةً أو جزءً منه فقط، وأن هذا العنوان عبارة عن مجموع تضمن العديد من العناوين والتآليف، وما ظهور الكثير من المخطوطات المنسوبة لأبي راس في التفسير وعلوم القرآن إلا دليل على ذلك، فلا يمكن الجزم بأنه ألَّف تأليفا واحدا في تفسير القرآن وهو هذا المعنون بـــ «مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير»، بل هو مجموع اشتمل على التفسير للقرآن الكريم وعلى جمع من المواضيع الخاصة بعلم التفسير وعلم القرآن، خاصة أن الدكتور قد جزم أن كتابه «فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته» يعتبر آخر ما ألَّفه أبو راس، إذ يقول في تقديمه للكتاب:" وما دام أبو راس قد ألَّفه بعد سنة 1233هـ وقد توفي هو سنة 1238هـ أو 1233هـ، فإننا نحكم أنه قد كتبه في أخريات أيامه، أي بعد أن عاش حوالي ثمانين سنة ... كما أنها تدلنا أن الكتاب من أواخر ما ألفَّ أبو راس".[2]

وقد ذكر أبو راس في مبحث تآليفه في القرآن أربعة عناوين فقط هي: «مجمع البحرين» وتقييده على الخرَّاز[3] الذي هو: «الجمع بين الإطناب والإيجاز في شرح الخرَّاز» والدُّرر اللوامع[4] والذي هو «السيوف القواطع في شرح الدرر اللوامع» والطراز[5] الذي هو «إزالة الألغاز على كلام الطراز على الخرَّاز» ثم ظهر لنا مجموعة من التآليف كلها لأبي راس الناصري في علم التفسير وعلوم القرآن، وقد ذكر الدكتور المختار البوعناني مجموعة منها، هي:

---

1: يقول الدكتور أبو القاسم: فأما أبو راس فقد ذكر أنه قد وضع تفسيرا للقرآن الكريم في ثلاثة أسفار، وأنه جعل كل سفر يحتوي على عشرين حزبا، سمَّاه «التيسير إلى علم التفسير». "تاريخ الجزائر الثقافي" ج:2، 18-19.

2: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 07.

3: أرجوزة الخرَّاز المسماة «مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن» وهي لصاحبها محمد بن محمد الشريشي المعروف بالخراز، من أهل فاس، توفي سنة: 718هـ. وهي في رسم أحرف القرآن. انظر:"الأعلام" ج:7، ص: 33.

4:منظومة «الدرر اللوامع في قراءة نافع» لصاحبها علي بن محمد الرباطي الشهير بابن بري، من أهل تازة، توفي سنة: 709هـ، انظر "الأعلام" ج:5 ص:05 .

5: «الطراز في شرح ضبط الخرَّاز» لمؤلفه محمد بن عبد الله التنسي، أحد علماء تلمسان، أصله من تنس، توفي سنة:899هـ. انظر: "الضوء اللامع" ج:8، ص:120.

«الإبريز والإكسير في علم التفسير» وذكر أنه مخطوط مصور، وأنه في مكتبته الخاصة. و«إغاثة اللهفان في شرح مورد الظمآن» وهو شرحه الثاني على منظومة «مورد الظمآن»، و«التكلم مع صاحب عمدة البيان[1]»، و«إعانة القدير في شرح النشر والتيسير[2]»، و«تكميل البيان في ضبط الجواهر الحسان» في سفرين،كما له«سر الرحمن في جمع القرآن وسبب جمعه على هذا المنوال» و«فتح المنان في ترتيب نزول القرآن».[3]

وهي تآليف لم يذكرها أبو راس ضمن مؤلفاته في علوم القرآن، ولا توجيه للأمر بعد ثبوت نسبتها له إلا أن يقال أن كتابه «مجمع البحرين »كان متضمن لهذه التآليف.

وعن **أسلوبه ومنهجه** في تفسير القرآن الكريم، فلم أجد من تآليفه المخطوطة ما يمكن اعتماده في ذلك إلا مخطوطته«الإبريز والإكسير في علم التفسير» وهي النسخة الوحيدة التي أشار إليها الدكتور البوعناني، وقد تحصلت عليها بعد جهد جهيد.

وقد أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى منهج أبي راس في التفسير، وكيفية تعاطيه مع الآيات القرآنية استلهاما من كتاباته عموما دون الوقوف على ما يثبت تصوره واستنباطه هذا، إذ يقول:"ومما عرفناه عن أبي راس نستطيع أن نحكم بأن تفسيره سيكون محشوا بالاستطراد كالأخبار والإعراب والحكايات ونحوها، ونحكم أيضا بأن عبارته ستكون سهلة وألفاظه قريبة من العامية، أما التفسير في حد ذاته فقد يكون مقتصرا فيه على المعاني الظاهرة التي لا تحتاج إلى كثرة الاستدلال والاستنباط والتفرع، ومهما كان الأمر فإن تفسير أبي راس يُذكِّر المرء بتفسير الثعالبي[4]،لأن كليهما كان يجمع

1: هي «عمدة البيان في رسم خط القرآن»للخرَّاز أيضا، ويطلق عليها البعض «عمدة البيان في ضبط القرآن» ولكن الأخير في الضبط لا الرسم.

2: «النشر في القراءات العشر» للإمام ابن الجزري(ت: 833هـ)، و«التيسير في القراءات السبع» للإمام الداني(ت:444هـ).

3: ذكرها الدكتور في رسالته: اهتمام الجزائريينبالقرآن الكريم بيبليوغرافيتا طبعة أولى، ت: 2002م. وقد وجدتها في موقعه الشخصي:https://www.blogger.com/profile/14129902046987652 71 .

4: يريد تفسير «الجواهر الحسان»لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي(ت: 875هـ)، أما عيسى الثعالبي(ت:1082هـ) فلم يكن له تأليف في التفسير.

الزهد إلى العلم، وكليهما جاء في وقت اضطربت فيه الأحوال السياسية في البلاد ،كما أن حجم التفسيرين متقارب".[1]

وسيظهر تطابق هذا الحكم أو عدمه من الدكتور على أسلوب أبي راس في التفسير، بعد الكلام عنه من خلال مصنفه في التفسير«الإبريز والإكسير في علم التفسير»، والذي قمت بتحقيق وكتابة جزء سورة الفاتحة منه بالكامل، إذ الموجود المتوفر من مخطوطة تفسير أبي راس هو سورة الفاتحة والربع الأول من سورة البقرة، والمخطوط بأكمله لم يتعد 77 لوحة، كتب بخط مغربي واضح مقروء في غالبه، مسطرته 21، وقد تحصلت عليه بمساعدة أحد الزملاء.[2]

**تفسير سورة الفاتحة من «الإبريز والإكسير في علم التفسير» لأبي راس الناصري:**

" سورة أم القرآن: وهل هي مكية أم مدينية؟ قولان، وسميت أمًّا له لأنها أصله ومنشؤه وأساسه، لتضمنها المعاني الثلاثة التي هي أصول مقاصد القرآن على وجه إجمالي، أولها ثناء ووسطها تعبد وآخرها وعد ووعيد، ثم يصير ذلك مفصلا في سائر السور، فكانت منها بمنزلة مكة من سائر القرى لأن الأرض دحيت من تحتها، فشأنها أن تسمى أم القرآن كما سميت مكة أم القرى، وتسمى أيضا فاتحة الكتاب لأنها مفتتحه ومبدؤه، والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق، إلا أن الشافعي يعدُّ البسملة آية منها والسابعة ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[الفاتحة:7]. وإن لم تكن منها كما هو مذهب مالك فالسابعة ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼقاله الجلال المحلي، وهو الظاهر دون ما للقسطلاني والبيضاوي وابن جزي.

واختلف هل أوِّل الفاتحة على إضمار قول أي قولوا الحمد لله، ليكون ما قبل إياك نعبد مناسب له، أو هو ابتداء كلام الله ولا بد من إضمار القول في ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼوما بعده. ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ: جملة خبرية، قُصد بها الثناء على الله تعالى، مضمونها أن الله تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق والمستحق لأن يحمد، فالحمد أعم من الشكر، لأن الشكر لا يكون إلا جزاء عن نعمة، والحمد يكون جزاء كالشكر وثناءً ابتداءً، كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد، ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ: الحمد باللسان

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 18-19.

2: هو الأستاذ بلحاج جلول، جزاه الله خيرا، فقد انتفعت بمساعدته كثيرا.

فقط والشكر باللسان كالتحدث بالنعم، وبالجوارح وهو عمل الطاعة، وبالقلب وهو معرفة مقدار النعمة، وأنها تفضل منه لا باستحقاق العبد، وهذا معنى قول سعد الدين في مختصره: الحمد له خصوص الآلة وعموم المتعلق، والشكر بالعكس. والله علم على المعبود بحق. **چ پ پ چ**:أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، كلٌّ منها يطلق عليه عالم، يقال عالم الإنس وعالم الجن ونحو ذلك. وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أولي العلم على غيرهم، وهو من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم والغالب فهو علامة على موجده سبحانه وتعالى، وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين، وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع، وقرئ ربَّ بالنَّصب، على المدح أو النداء أو بالفعل الذي دلَّ عليه الحمد.**چ پ پچ**: أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير للخلق، وإنما قدَّم الرحمن لاختصاصه بالله وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات، **چ ٹ ٹچ**: بغير ألف من الملك، **چ ٹ ٹ ڤ ڤچ** وهي قراءة الجماعة، وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب بالألف، والتقدير حينئذ مالك الأمر يوم الدين أو الجزاء وهو يوم القيامة، والمراد أنه موصوف بذلك دائما ك**چ ڤ ڤ ڦچ** قال البيضاوي: المالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة من المِلك، والـمَلك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك، وقرأ بلفظ الفعل وبالنصب على المدح أو الحال، وبالرفع منونا على أنه خبر مبتدأ محذوف. **چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄچ**: قدَّم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر، أي ما نخص بالعبادة من توحيد وغيره إلا أنت، ولا نطلب المعونة بفتح الميم وضم العين على العبادة وغيرها إلا منك، وفيه التفات عن الغيبة وقرأ {أياك} بفتح الهمزة، و{هياك} بقلبها هاءً.

**لطيفة**: قدَّم الثناء على الدعاء لأن شأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وقدَّم **چ پ پچ** على غيره لأن رحمته سبقت غضبه، وقدَّم **چ ڦ ڦ ڄ ڄچ** لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.

**چ ڦ ڄ ڄچ**: بيان للمعونة المطلوبة وكأنه قال: أعينكم، فقالوا: اهدنا أي أرشدنا، وأصل هدى أن يتعدى باللام وبإلى فعومل هنا معاملة **چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈچ**والهداية دلالة عطف ولذا تستعمل في الخير. وأما **چ □ □ □ □ چ** وارد على طريق التهكم، و**چ ڦچ** بقلب السين صادا ليطابق الطاء في الإطباق، وخلفٌ يشم الصاد صوت الزاي حيث وقع، وقرأ قنبل عن ابن كثير بالسين على الأصل، وخلاد بالإشمام في الأول فقط، والباقون بالصاد وهي لغة قريش. وهو طريق الحق أو الإسلام أو الميزان، وقال أبو العالية هو النبي أخرجه أبو حاتم، لأنه طريق إلى الله.

**چ ڤ ڤ ڤ ڤ چ**: بالهداية بدل مما قبله، بدل الكل من الكل، وهو في حكم تكرير العامل من حيث أن المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكدِّ وجه وأبلغه، والمنعم عليهم قال ابن عباس: وهم النبيون والصدقون والشهداء والصالحون، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يكفروا، وقرأ حمزة، عليهُم بضم الهاء.

**چ ڤ ڤ ڤ ج ججچ**: الواو عاطفة ولا زائدة لتوكيد النفي بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلالة، ونكتة البدل أفادتنا أن المهتدين ليسوا بيهود أو نصارى أو صفة مبينة، و**چ ڤچ**بالجر إما بدل من **چ ڤچ** على المعنى أو من ضمير عليهم قرأ شاذا بالنصب إما حالٌ من ضمير عليهم وناصبها **چ ڤچ** ، أو من **چڤچ** وعاملها معنى الإضافة، قال ابن كثير: المعنى **چ ڤ ڤ ڤ ڤ چ** ممن تقدم، ووصفهم بالهداية والاستقامة. **چ ڤ ڤ چ** وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط**چ ججچ** وهم الذين فقدوا العلم. وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثمَّ مسلكين فاسدين وهما طريق اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالين، وقيل: **چ ڤ ڤ ڤ چ** العصاة، و**چ ججچ** الجاهلون بالله تعالى.

فائدة: في شفاء عياض من حديث أبن مسعود: إذ أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله، قال: الخفاجي: كما أرشدنا لذلك في سورة الفاتحة. قال ابن مرجان في تفسيره: إذ قيل لك أنَّ أحدا أحيى ميتا بقراءة الفاتحة فلا تنكره". انتهى تفسير سورة الفاتحة.

**قلتُ**: افتتح أبو راس تفسيره بذكر فضل علم التفسير إذ يقول:" إن العلم ذو أفنان ويتسمعن كل دوحة منه أغصان، وإن أعظم ما نطق به الإنسان من ذلك وفاه، وتحركت به الألسن وانطبقت عليه الشفاه علم تفسير القرآن المجيد الذي **چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ چ**فهو أجلُّ ما يقتنى ويدخر، وأعظم عملٍ حقُّه أن يقدَّم ولا يؤخر، لأنه القطب الذي عليه المدار والأساس الذي عليه بناء الجدار، لرفع مقداره وعلو مناره".[1]

ثم شرع بالتعريف به، إذ قال:" اعلم أن التفسير لغة التبيين، واصطلاحا: بيان معنى القرآن بما هو مأثور عن النبيﷺ والتابعين، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم النحو واللغة

1: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:1.

والتصريف والبيان والأصول والقراءة، إلى غير ذلك من معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. واختلف هل هو بمعنى التأويل، وقيل بالفرق بأن التأويل هو بيانه بما تقتضيه القواعد العربية".[1]

ثم ذكر التفاضل بين الآيات القرآنية، وطريقة جمعه وأوَّل من سمى المصحف مصحفا، وأوَّل من نقطه وشكله، وأوَّل من جمع القراءات السبع وأورد الخلاف في ذلك، ثم أوَّل من حزبه، وصنف في التفسير، ثم مسألة التحذير من التفسير بالرأي وأسهب في الرد عليها، ثم ختم المقدمة بعنوان: **تنبيهات**، أورد فيه مسألتان:

" الأولى: حديث معاوية الذي فيه ومد الرحمن، لم يبينوا معنى المد فيه، هل هو هكذا الرحمن، عوضا عن الألف الساقط، أو المراد إذا رسم ألفا، ويبعده رسم المصحف العثماني.

الثانية: قال ابن حجر في فتاويه: يكفُر من أنكر آية أو جزء من القرآن مجمع عليه كالمعوذتين، بكسر الواو المشدَّدة، بخلاف البسملة من غير النمل، فإن قلت: قد أنكر ابن مسعود كون المعوذتين قرآنا، قلت: قال النووي: يشبه أنه كذب عليه".[2]

وبالنظر في تعريفه لعلم التفسير واشتراطه الاستمداد من علوم النحو واللغة والتصريف والقراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها من الفنون، فيظهر التزام الناصري بتلك الضوابط والقيود، مع التفاوت في الاستمداد منها.

يستفتح تفسيره بذكر مكي ومدني السور، ويتطرق للخلاف في ذلك، كصنيعه في الفاتحة إذ يقول:"سورة أم القرآن: وهل هي مكية أم مدينية؟ قولان"[3]، ثم لم يجزم ولم يرجح، بل راح يفسر معنى تسميتها بأم القرآن. غير أنه في أول البقرة ذكر أنها مدنية.[4]

واستخدم أحد طرق التفسير بالمأثور وهو تفسير القرآن بالقرآن، عند تفسيره لقوله تعالى:**چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ**بقوله تعالى:**چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ**. واستخدم تفسير القرآن بأقوال الصحابة، كما في

---

1: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:2.

2: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:2-3.

3: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة: 3.

4: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة:5.

تفسيره ﭽ ڈ ڈ ﭼ بقول ابن عباس، بالرغم من أن تفسيره يصنف ضمن التفسير بالرأي، لقلة التفسير بالمأثور فيه.

وفي القراءات أورد كلام أئمة القراءات عند تفسيره لقوله تعالى:ﭽ ٹ ٹ ڈ ڈ ﭼإذ أورد خلافهم في صاد كلمة الصراط فيقول:" ﭽ ڈ ﭼ بقلب السين صادا ليطابق الطاء في الإطباق، وخلفٌ يشم الصاد صوت الزاي حيث وقع، وقرأ قنبل عن ابن كثير بالسين على الأصل، وخلاد بالإشمام في الأول فقط، والباقون بالصاد وهي لغة قريش".[1]

أما عن علم النحو فقد أورده في العديد من المواضع من تفسيره لسورة الفاتحة، واستفتح به عند أول تفسيره لأول آية إذ يقول:"واختُلف هل أوَّل الفاتحة على إضمار قولٍ أي قولوا الحمد لله، ليكون ما قبل إياك نعبد مناسب له، أو هو ابتداء كلام الله ولا بد من إضمار القول في ﭽ ٹ ٹ ﭼوما بعده. ﭽ پ پ ﭼ: جملة خبرية، قُصد بها الثناء على الله تعالى".[2]

وقد كان يورد الخلاف في بعض المسائل، كإيراده للخلاف بين مالك والشافعي عند كلامه عن تسمية الفاتحة بالسبع المثاني، ودخول آية البسملة فيها إذ يقول دون ترجيح:"وتسمى أيضا فاتحة الكتاب لأنها مفتتحه ومبدؤه، والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق، إلا أن الشافعي يعدُّ البسملة آية منها والسابعة ﭽ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ج ج ﭼ[الفاتحة:7]. وإن لم تكن منها كما هو مذهب مالك فالسابعة ﭽ ڤ ڤ ڤ ج ج ﭼقاله الجلال المحلي".[3]

ولم يكن أبو راس متطرقا للمسائل الفقهية أو العقدية أو السلوكية في هذا الجزء المتوفر، بل كان مقتصرا على معاني وتفسير الآيات دون الولوج في علم الكلام والمسائل الفقهية التي قد يُتطرق لها في التفاسير الأخرى. أما عن مصادر أبي راس التي اعتمدها في تفسيره، فيظهر اعتماده على «أنوار

1: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة:2-3.

2: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة:4.

3: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة:4.

التنزيل»للبيضاوي في مواضع عديدة، وعلى سعد الدين التفتزاني[1]في مختصره الذي هو «مختصر المعاني»، وعلى الخفاجي صاحب الحاشية الموسومة: «عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي»، وعلى «الشفا» للقاضي عياض، وغيرها من المصادر التي كان يتفاوت في النقل عنها إما بالمعنى تارة وإما باللفظ تارة أخرى، وهذا الحكم من خلال ما وجدته في هذا الجزء من التفسير، وقد صرَّح باعتماده لمجموعة من أمهات كتب التفسير عند حديثه لمؤلفه المطول «مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير»حيث قال:" طالما تكلمتُ فيه نقلا من كتاب شيخ أو فيه، مع الزمخشري والبيضاوي وابن عطية وغيرهم، فيالها من عطية".[2]

بل صرح في مقدمته بالاقتباس من تفاسير الأئمة إذ يقول:" للاقتباس من تفاسيرهم السَّايرة في الأنام مسير الشمس، ولا ينكرها إلا الذي يتخبطه الشيطان من المس، كالبحر[3] والأنوار[4] والكشاف وابن عطية[5] والجلالين وكشف الكشاف[6]، ذو العبارات الصريحة الواضحة والإشارات المليحة اللايحة".[7]

وليس بهذا النقل والاقتباس مضى كامل تفسيره، بل تظهر شخصية أبي راس الناصري التفسيرية في مصنفه هذا جليا، حيث كان يرجح في كثير من المواطن ويستعمل أدواته العلمية في تفسير الآية الكريمة، كإشارته إلى أنه تعالى:" قدَّم الثناء على الدعاء لأن شأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وقدَّم ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ على غيره لأن رحمته سبقت غضبه، وقدَّم ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة"[8]، وغيرها من المواضع في بقية تفسيره.

---

1: قد يتطرق الوهم بأنه مختصر أو حاشية للتفتزاني على البيضاوي، والتفتزاني لم يكتب على البيضاوي، إنما كتب حاشية على الكشاف للزمخشري، وهي مخطوط ذكرها حاجي خليفة في «كشف الظنون»وأطرى عليها كثيرا حيث عدها منعدمة النظير، وتأسف لكونه لم يكملها فقد وافاه الأجل قبل ذلك بسمرقند. انظر: "كشف الظنون" ج:2 ص: 1475.

2: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 179.

3: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت:745هـ.

4: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي ت: 685هـ.

5: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ت:542هـ.

6: كشف الكشاف لسراج الدين عمر بن عبد الرحمن القزويني ت:745هـ.

7: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:2.

8: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:5.

**ومنه فإن حكم أبي القاسم سعد الله على تفسير أبي راس الذي لم يطلع عليه، قد وافق الصواب في جانب وخالفه في آخر**، فوافقه في أن تفسيره كان"مقتصرا فيه على المعاني الظاهرة التي لا تحتاج إلى كثرة الاستدلال والاستنباط والتفرع".

وخالفه في حكمه عليه بأن "تفسيره سيكون محشوا بالاستطراد كالأخبار والإعراب والحكايات ونحوها" وهذا ما لم يكن ظاهرا في تفسيره للفاتحة مثلا،كما أن حكمه "بأن عبارته ستكون سهلة وألفاظه قريبة من العامية"، جانب الصواب فيه، بل إن لغته كانت لغة عربية مسبوكة وراقية في غالبها، ولم تكن كما وصفها بأنها قريبة من العامية، وكل هذا البيان في حدود ما استقرأته في لوحات هذا المخطوط الذي لم يظهر كاملا لحد الآن.

أما عن جهود الإمام أبي راس في **خدمة التفسير تدريسا**، فلم أجد في كتب التراجم والوثائق ما يثبت أنه كان صاحب دَرسٍ أو حلقة خاصة بالتفسير على كثرة حلقاته وانشغاله بالتدريس، وقد أورد هو نموذجا من حلقاته في بعض رحلاته، وذكر أنه سئل في بعض مجالسه عن تفسير مجموعة من الآيات القرآنية، كقوله عند وصفه لرحلة تطوان:"وسئلت بتطوان -إحدى مدن المغرب- عن قوله تعالى:﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې﴾[الأحقاف:11]، فأجبت: بأن المعنى: وقال الذين كفروا لبعضهم بعضا وقوله﴿ۋ ۅ ۅ﴾المراد عن الذين آمنوا، أي عن شأنهم وتقلدهم الإسلام، ولو كان ما تقلدوه خيرا﴿ې ى ى ئا ئا﴾. فقال السائل:﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ﴾ إن الكفار قائلون، والمقول لهم ﴿ۋ ۅ ۅ﴾؟ فقلت: لا، وما معناه إلا ما قلت لك، ثم قلت له: يا هذا، لو كان كما تقول لكان ﴿ې ى ى ئا ئا﴾ بالخطاب لا بالغيبة، فحينئذ فهم وسلَّم واعترف بالحق وأذعن للصدق".[1]

ولم أجد غير هذا النص في إثبات تدريسه للتفسير وعلومه، سواء أثناء إقامته بالجزائر أو أثناء رحلاته، والباحث لا يستبعد اشتغاله وعقده لمجالس التفسير تدريسا، خاصة أنه كان مشتهرا بكثرة التدريس وعقد الحلقات في جميع الفنون، ولن يكون علم التفسير بمنأى عن ذلك.

## لوحات من مخطوط: الإبريز والإكسسر في علم التفسير

1: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 164.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

**كتاب الإبريز والإكسير في علم التفسير**
**للشيخ [illegible]**
**رحمه الله ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين**

**الحمد لله** ملقي الآيات العظيم بتنزيل التفسير، ومنيح الجسم
الشفيع بلطيف الهداية والتيسير، الذي حارت العقول في كنه
ذاته بعد الغوص في الهاوية للمسير، وقسم من احتبه فهم
كتابه ومقتضيات خطابه ومعرفة خواص آياته وغرائب
أسراره حتى صار فهم مقفلها غير عسير، هو مولانا ونعم المولى ونعم النصير. **أحمده** سبحانه لكونه بالحمد جديرا، و
بعباده خبيرا بصيرا، تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا، **حمدا** أبلغ به [illegible] من عز منعة
وفتنة وبلاء، وأثني عليه على نشر الحلل وملك الابتلاء، أشكره
على جميل المتواتر، الكامل الوافر، [illegible]
**شكرا** نستمد به مزيد عطاياه، ونكشف غطاء عن آيات
القرآن وأوضاعها، وصريحها وإعجازه، تنشرح به الصدور
وتسهل الأسباب، ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب،
**وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تهدي للتي هي أقوم، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي علمه

اللهم صل على الحبيب محمد وآله وصحبه وسلم
الذي علمه الله ما لم يكن يعلم، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وذر
يته المعصومين من رجس الشيطان الرجيم، ذرية بعضها من بعض
والله سميع عليم، وعلى آله أصحابه نجوم الهدى، ورجوم العدا،
وعلى من تبعهم بإحسان وإن طال المدى، صلاة وسلاما نا
[illegible] نيلا وأخرى، وبنيل المراد أولى وأخرى، **أما
بعد** فيقول الفقير الغافل، محمد أبو راس
ابن الناصر، أتحفه الله بالرضوان، وبوأه الفردوس أرفع
مكان، أن العلم ذو أفنان، ويتشعب على عدة منه
أغصان، وأن أعظم ما تحلى به الإنسان من ذلك وجلا، و
تحرك به اللسان وانكشف عليه الأشياء، علم تفسير
القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد، فهو أجل ما يقتنى ويدخر، و
أعظم ما حقه أن يفهم ولا يوضع، لأنه القطب الذي عليه المدار
والأساس الذي عليه بناء الجدار، لم يقم مقداره، وعلى
مناره، وقد طال ما خلص في الخاطر العاطر المستنى
في اللهو استيقانا وأشغلت المواطن، وينقدح في
وهمي، أن أكون من جملة المفسرين وإن كانت سهمي، و
أبرز بين جبهة من هم ما لي من صنيع، إذ لا يدرك الطالع
شأو الظليع، فيتسلف عن هذه المنية التي جاءت
كونها عقب التفسير منجلاة، لأن كلا ينفق مما
عنده على حسب الافتقار والجلالة، مع كثرة العوائق،

اللهم صل على الحبيب محمد وآله وصحبه وسلم
**الثالث** قال الداني [illegible] يكفر من أنكر آية أو حرفا من القرآن
مجمعا عليه كالمعوذتين [illegible] والمسألة لأجل خلاف البسملة من غير
[illegible] **فإن قلت** فقد أنكر ابن مسعود كون المعوذتين قرآنا
**قلت** قال النووي يشبه أنه كذب عليه. **سورة
أم القرآن** وهل هي مكية أو مدنية قولان وسميت أم القرآن
لأنها أصله ومنشؤه وأساسه لتضمنها المعاني الثلاثة التي
هي أصول مقاصد القرآن على وجه الإجمال أولها ثناء ووسطها
تعبد وآخرها دعاء [illegible]
وكانت منها بمنزلة مكة من سائر القرى لأن الأرض دحيت من تحتها
فكما أنها تسمى أم القرآن كما سميت مكة أم القرى وتسمى أيضا
فاتحة الكتاب لأنها مفتتحه وصدره والسبع المثاني لأنها سبع آيات
باتفاق إلا أن الشافعي يعد البسملة آية منها والسابعة صراط
الذين أنعمت عليهم إلى آخرها ولم تكن منها كما هو مذهب مالك فيها
السابعة غير المغضوب عليهم قاله الجلال المحلي وهو الظاهر كما في
التفسير [illegible] واختلف هل أول الفاتحة على
إضمار قول أي قولوا الحمد لله ليكون ما قبل إياك نعبد مناسبا له
أو هو ابتداء كلام الله ولا بد من إضمار القول في إياك نعبد وما
بعده. **الحمد لله** جملة خبرية قصد بها الثناء على الله تعالى
مضمونها أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق والمستحق لأن يحمد
وفي الحمد أعم من الشكر لأن الشكر لا يكون إلا جزاء عن نعمة والحمد
يكون جزاء كالشكر وثناء ابتداء كما أن الشكر قد يكون أعم من
الحمد

اللهم صل على الحبيب محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله الحمد باللسان فقط والشكر باللسان كالتحدث بالنعم وبالجوا
رح وهو عمل الطاعة وبالقلب وهو معرفة مقدار النعمة وأنها
تفضل منه لا باستحقاق العبد وهذا معنى قول سعد الدين في مختصره
الحمد له خصوص الآلة وعموم المتعلق والشكر بالعكس والله علم على
المعبود بحق رب العالمين أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن
والملائكة والدواب وغيرهم كل منها يطلق عليه عالم يقال
عالم الإنس وعالم الجن ونحو ذلك وغلب في جمعه بالياء والنون
أولي العلم على غيرهم وهو من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب فهو علامة على موجده سبحانه وتعالى وقيل اسم
وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل
الاستتباع وقرئ ربَّ بالنصب على المدح أو النداء أو بالفعل
الذي دل عليه الحمد الرحمن الرحيم أي ذي الرحمة وهي إرادة
الخير لأهله وإنما قدم الرحمن للاختصاص بالله وجيء بأنه مجرى
الأسماء التي ليست بصفات ملك بغير ألف من الملك لمن الملك
اليوم لله وهي قراءة الجماعة وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب
بالألف والمعنى [illegible] مالك الأمر يوم الدين أي الجزاء
وهو يوم القيامة والمراد أنه موصوف بذلك دائما كغافر
الذنب قال البيضاوي المالك هو المتصرف في الأعيان المملو
كة من الملك والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين
من الملك وفي [illegible] بالنصب على المدح أو الحال
وبالرفع منونا على أنه خبر مبتدأ محذوف إياك نعبد

**المحاضرة العاشرة:**

## أولا: عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي، أبو سعيد (ت: أوائل ق 13هـ):

أحد رجالات التفسير المغمورين ببلاد مستغانم، لم أجد له ترجمة في كتب التراجم والببليوغرافيا ولا في كتب السير والتاريخ، ولم يذكره[1] غير صاحب «معجم المفسرين» إذ يقول:

"عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي، أبو سعيد: مفسر، نحوي، من فقهاء المالكية، ولد بمستغانم وبها نشأ وتعلم. من آثاره: تفسير القرآن الكريم، كبير وصغير".[2]

وهو بهذا الوصف أحد أعلام الجزائر الذين صنَّفوا في التفسير بمؤلفين:

**الأول**: التفسير الكبير. **الثاني**: التفسير الصغير.

**قلتُ**: ويحتمل كون الثاني تلخيصا للأول، أو أن الثاني كان للمبتدئين، على عادة بعض الشيوخ في اختصار بعض كتبهم للطلبة المبتدئين.

ولا يُعلم مزاولة الشيخ لتدريس التفسير بمساجد ومدارس مستغانم، وما نظام حلقاته التفسيرية، وإذا ما كان في حلقاته يفسر متن هذا التفسير "المفقود" أو معتمدا على تفسير آخر لشرحه للطلبة، كل ذلك مما لا يمكن الإجابة عليه، لندرة المصادر التاريخية التي تعرضت لهذه الشخصية، وفقد كلا المصنفين.

## ثانيا: الشيخ محمد بن عيسى الجزائري (ت1310هـ/1892م):

الشيخ الأستاذ والمدرِّس النظامي محمد بن عيسى الجزائري التونسي، من مواليد العاصمة سنة: 1243هـ/1828م، ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر، حلَّاه نويهض بالقول: "من الكتاب البلغاء، عارف باللغة والتفسير"[3].

---

1: اعتمد في ترجمته على بحث منشور في مجلة: الجمعية الجغرافية بوهران عدد يونيو 1929. ولم أستطع الحصول عليه.

2: معجم المفسرين، عادل نويهض، ج: 2، ص: 786.

3: المرجع نفسه، ج:01، ص:112.

وصاحب "شجرة النور" بالقول:" كان فقيهاً عالماً عاملاً متفنناً خيراً فاضلاً. له في الأدب والإنشاء مكان مكين مع ورع ودين متين"[1]، والحفناوي إذ يقول فيه:" رسائله تدل على أنه في طبقة عليا من الفهم والعلم".

عاش الشيخ محمد بن عيسى الجزائري في فترة حاسمة من تاريخ بلاده، فقد ولد قبل الاحتلال الفرنسي بسنتين، وما إن شبّ ووعى على نفسه وجد أن أحوال البلاد والعباد قد تغيرت وانقلبت، ومن حسن حظه أنه أدرك التعليم العربي قبل أن تطوله يد فرنسا، فالتحق بالمدارس العربية في مدينته وتعلم على يد الجيل الأول من العلماء في فترة الاحتلال، فعلى عهده لم تكن المدارس الفرنسية قد افتتحت بعد، ومازالت الإدارة الفرنسية لم تطبق قوانينها وممارساتها المجحفة في حق الجزائريين فيما يخص مجال التعليم وفرض التعليم الفرنسي عليهم.

غادر ابن عيسى الجزائر نحو تونس سنة 1272هـ، والأرجح أن سفره كان بسبب أوضاع البلاد التي كانت تقبع تحت نير الاستعمار فلم يتحمل ذلك، واختار الهجرة إلى تونس على غرار الكثير من علماء الجزائر وفقهائها، بل وحتى من عامة الشعب الذين شدوا الرحال فرادى وجماعات إلى البلاد المجاورة أو إلى المشرق هرباً من بطش الاستعمار.

وأول ما بلغ تونس عهد إليه بالتدّريس في جامع الزيتونة، ويبدو أنه لم يستمر في هذا المنصب غير 4 سنوات، حيث انتقل سنة 1276هـ للعمل في الوزارة الكبرى أين تولى رئاسة الكتابة العامة بالقسم الأول منها، وكان كاتبًا بارعًا، وكانت تونس في تلك الأيام تعيش تجربة تحديثية شاملة لمؤسسات الدولة، حيث باشرت في تبني الإصلاحات الحديثة متأثرة بما يحدث في كل من مصر والدولة العثمانية خاصة، وقام وزيرها المشهور خير الدين باشا التونسي، بإعلان أول دستور في تونس والعالم العربي والإسلامي عامة سنة 1277هـ، وقد شهد محمد بن عيسى الجزائري هذه التطورات باعتباره موظفاً هناك.

: شجرة النور الزكية في علماء المالكية، محمد ابن سالم مخلوف، ج:01، ص: 1.589

وعلى الرغم من عدم استمرار تجربة خير الدين باشا طويلاً، إلا أن ابن عيسى استمر عمله في الوزارة، وتقلب في وظائفها، فكانت آخرها توليه خطة الانشاء سنة 1302هـ، ومن بعدها انقطع للعلم يُعلم ويتعلم إلى غاية وفاته بتونس سنة: ت1310هـ/1892م [1].

تجدر الإشارة إلى أن كل من تحدَّث عن الشيخ، ذكر له ثلاثة مصنفات فقط، الثريا، والماس، كلاهما في التفسير، وعنوان آخر هو: الوسيلة في مدح أهل الفضيلة، وهي منظومة، طبعت كذلك بتونس سنة 1306هـ.

## صلته بالتفسير وعلومه:

لم أجد في ترجمة الشيخ محمد بن عيسى ما يدل على خدمته للتفسير تدريسا، وكل المصادر والمراجع التي تحدَّث عنه، ذكرت أن له تصنيفين اثنين في التفسير:

**الأول**[2]: **الثريا لمن كان بعجائب القرآن حفيا**، وقد طبع في المطبعة الرسمية بتونس، سنة:1307هـ وفيها 32 صفحة. منها نسخة بمركز جمعة الماجد، بالإمارات، برقم: 105422.

**الثاني: الماس في احتباك يعجز الجنة والناس، تفسير قوله تعالى:** ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ (النور: ٣٣)، وقد طبع بالمطبعة الرسمية أيضا، بتونس، سنة: 1306هـ، وجاء في 31 صفحة فقط. **قلتُ**: وكلا المصنفين في عداد المفقود عندي، ولم أستطع الحصول عليهما، لذا فلا يمكننا معرفة طريقة تعامل الإمام محمد بن عيسى مع الآيات القرآنية الكريمة، ولا منهجه وأسلوبه في ذلك. وقد شوقنا الإمام الحفناوي حينما وصف تصانيفه بالقول:" رسائله تدل على أنه في طبقة عليا من الفهم والعلم"، مما يجعل البحث عن مخطوطاته هاته وإعادة إخراجها من جديد، وبثوب أكاديمي قشيب، أمرا غاية في الأهمية، وأقل القليل حبا وعرفانا لأهل الفضل من أعلامنا الجزائريين.

---

1: من مقال: محمد بن عيسى الجزائري، كاتب الوزارة في تونس، موقع: تاريخ، عنوانه: https://www.taree5com.com

: معجم المطبوعات العربية، إليان سركيس، ج: 01، ص: 2.695

**المحاضرة الحادية عشر: الإمام الشيخ أمحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش الإباضي ت: 1332هـ/1914م.**

الشيخ العَلم الإمام، المجتهد العابد، امحَمَّد بن يوسف بن عيسى ابن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى ابن إسماعيل بن محَمَّد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي، أطفيَّش. أحد رجالات النهضة في الجزائر زمن الاحتلال الفرنسي، ينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاني جد العائلة الحفصية المالكة في تونس، و"معنى لفظ أطفيش، قيل أن أحد أسلافه لقبه به، لمناداته صديقا له، يدعوه إلى الطعام، فلفظ اطفيش، لفظ أمزيغي مركب تركيبا مزجيا من ثلاث كلمات: الأول: أطف، بفتح الهمزة وتشديد الطاء المفتوحة وسكون الفاء، ومعناها في بعض لغات الأمازيغ أمسك، الثانية أيًّا بفتح الهمزة

وشديد الياء ومعناها :أقبل، تعال، الثالثة أَشْ ومعناها: كل، ومجموع الجملة :أطف، أيا، أش، ومعناها أمسك،تعال كل"[1].

حلَّاه نويهض بالقول: "مجتهد، من أكابر العلماء بالفقه والأدب واللغة والتفسير، ومن رجال النهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر"[2]، والزركلي بقوله:" علامة بالتفسير والفقه والأدب، إباضي المذهب، مجتهد، كان له أثر بارز في قضية بلاده السياسية يدل على وطنية صحيحة".[3]

ولد سنة 1236هـ/ 1820 م في بني يسقن بمدينة غرداية ولما بلغ الخامسة من عمره أدخلته أمه في كتاب المسجد ليحفظ القرآن، ولم تمر ثلاث سنوات حتى حفظ القرآن الكريم ونبغ، تلقى العلم عن مشايخ منطقته، فأخذ مبادئ النحو والفقه عن أخيه الأكبر إبراهيم بن يوسف، وتلقَّى مبادئ المنطق عن الشيخ سعيد بن يوسف وينتن، وكان يحضر حلقة الشيخ عمر ابن سليمان نوح مع أخيه إبراهيم، وحلقة الشيخ الحاج سليمان بن عيسى في دار التلاميذ اليسجنيين، كما كان يحضر دروس الشيخ بابا بن يونس في مسجد غرداية.

لما وصل الشيخ العشرين من عمره اشتهر في وادي ميزاب والجزائر، وفتح دارا للتدريس، فأفرغ كل جهده في التأليف والإصلاح.

حجَّ مرتين، ولم يعلم له رحلة في سبيل تحصيل العلم، نشأ عصاميا، فلم يسافر للدراسة خارج موطنه، وجعل دأبه الحرصَ على اقتناء الكتب واستنساخها، يجتهد في طلبها واشترائها من كُلِّ البلدان، رغم قِلَّة ذات اليد، وصعوبة الاتصَال، فتجمَّعت لديه مكتبة غنية، تعتبر فريدة عصرها بالنظر إلى ظروف صاحبها، وبُعده عن مراكز العلوم والعمران.

قد عكف على التدريس والتصنيف والوعظ والإرشاد إلى أن وافاه الأجل في مسقط رأسه وعمره ستة وتسعون عاما يوم السبت 23 ربيع الثاني 1332 هـ الموافق لشهر مارس 1914[4].

---

1: قطب الأئمة أطفيش، العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن، كتاب جماعي، المجلس الأعلى للغة العربي، الجزائر، دط، ت: 2011م، ص: 33.

2: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 01، ص: 20.

3: الأعلام، خير الدي الزركلي، ج: 07، ص: 156.

4: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 01، ص: 20. بتصرف.

أما عن آثار ومصنفاته، فيقول الذهبي:" له من المؤلفات فى شتَّى العلوم ثروة عظيمة تربو على الثلاثمائة مؤلَّف"[1]، نذكر منها:

ترتيب الترتيب، وهو إعادة ترتيب مسند الربيع بن حبيب، بعد ترتيب أبي يعقوب يوسف الوارجلاني، طبع قديم، الجزائر، 1326هـ.

جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل، تحقيق محمَّد عبد القادر عطا، وهو مطبوع.

وفاء الضمانة بأداء الأمانة، وهو مطبوع.

وفي السيرة النبَوِية، مسائل السيرة.

شرح نونية المديح، والنونية أرجوزة وضعها ابن ونان المغربي في مدح خير البرية محمَّد عليه السلام

وفي التوحيد وعلم الكلام، إزهاق الباطل بالعلم الهاطل، طبع قديم، 1317هـ.

البرهان الجلي في الردِّ على الجربي عَلِي، والجنة في وصف الجنة،والحجَّة في بيان المحجَّة في التوحيد بلا تقليد. والذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والردُّ على الإنجليزيِّ الطاعن في الدين... وغيرها كثير جدا، بين مخطوط ومطبوع.

**صلته بالتفسير وعلومه:**

خدم الإمام أطفيش التفسير وعلومه بالتأليف والتصنيف فيه، ولم أجد ما يفيد أنه كان من خدمته تدريسا، وهو ما لا يستبعد، لدروسه المشتهرة والتي كان يقيمها في المساجد والزوايا، داخل بلده وخارجها.

وللإمام أطفيش تفسيران:

**الأول: همیان الزاد إلى دار المعاد،** وقد اختصره في "**تيسير التفسير**"، طبع في المطبعة السلطانية، زنجبار؛ وطبعة ثانية بمطابع سجل العرب، نشر وزارة التراث القومي، عُمان، ابتداء من سنة 1980م، ويقع في 13 مُجَلَّدا، بدأ في تأليفه وله من العمر أربع وعشرون سنة.

وقد طبع "**تيسير التفسير**" في الجزائر سنة: 1326هـ في سبع مجلدات ضخمة.

---

: التفسير والمفسرون، محمد الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، دط، دت، ج:02، ص: 1.236

**الثاني: داعى العمل ليوم الأمل**، ولم يكمله. نسخة منه بمكتبة القطب؛ وأخرى في مكتبة الشيخ حمو باباوموسى بغرداية، بدأه من الخاتمة وانتهى إلى سورة الرحمن، ولا يزال مخطوطا في مُجَلَّد كبير. صحَّحه الأستاذ مصطفى باجو، وضبطه وصفَّفه الباحثان محمَّد باباعمي ومصطفى شريفي، وهو ينتظر الطبع.

وقد قام الدكتور محمد الذهبي بدراسة تفسيره الأول، وأبان عن منهجه فيه، وعن طريقة تعامله مع الآي الكريم، إذ يقول:" يعتبر هذا التفسير هو المرجع المهم للتفسير عند الإباضية، غير أنه لا يُصور لنا حالة التفسير عندهم فى عصورهم الأولى، وذلك لقرب عهد مؤلفه، وتأخره عن زمن كثير من التفسير الذين وافقوه على مذهبه، والذين خالفوه فيه.

نقرأ فى هذا التفسير فنجد أن صاحبه يذكر فى أول كل سورة عدد آياتها، والمكي منها والمدني، ثم يذكر فضائل السورة، مستشهداً لذلك فى الغالب بالأحاديث الموضوعة فى فضائل السور، ثم يذكر فوائد السورة بما يشبه كلام المشعوذين الدجَّالين، ثم بعد ذلك كله يشرح الآيات شرحاً وافياً، فيُسهب فى المسائل النحوية، واللُّغوية، والبلاغية، ويفيض فى مسائل الفقه، والخلاف بين الفقهاء كما يتعرض لمسائل علم الكلام ويفيض فيها، مع تأثر كبير بمذهب المعتزلة، كما لا يفوته أن يعرض للأبحاث الأصولية والقراءات، وهو مكثر إلى حد كبير من ذكر الإسرائيليات التي لا يؤيدها الشرع، ولا يصدقها العقل، كما يطيل فى ذكر تفاصيل الغزوات التى كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم هو بعد ذلك لا يكاد يمر بآية يمكن أن يجعلها فى جانبه إلا مال بها إلى مذهبه، وجعلها دليلاً عليه، ولا بآية تصارحه بالمخالفة إلا تلَّمس لها كل ما فى طاقته من تأويل، ليتخلص من معارضتها... وقد يكون تأويلاً متكلفاً وفاسداً، لا ينجيه من معارضة الآية له... وإليك بعض ما جاء فى هذا التفسير، لتقف على مسلك صاحبه فى فهمه لآيات القرآن الكريم:

حقيقة الإيمان:

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيتين من سورة البقرة: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ(البقرة: ٢ – ٣) نراه يقرر:" أن الإيمان يُطلق على مجموع الاعتقاد، والإقرار، والعمل"، ثم يقول: "فمَن أخلَّ بالاعتقاد وحده، أو به وبالعمل، فهو مشرك من حيث الإنكار، منافق أيضاً من حيث

أنه أظهر ما ليس فى قلبه، ومَن أخلَّ بالإقرار وحده، أو بالإقرار والعمل، فهو مشرك عند جمهورنا وجمهور قومنا. وقال القليل: إنه إذا أخلَّ بالإقرار وحده، مسلم عند الله من أهل الجنة، وإن أخلَّ به وبالعمل ففاسق كافر كفر نعمة، وإن أخلَّ بالعمل فقط، فمنافق عندنا، فاسق ضال، كافر كفراً دون شرك غير مؤمن الإيمان التام".

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية 25من سورة البقرة: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ چ (البقرة: ٢٥) الآية، نراه يحاول محاولة جدية فى تحقيق أن العمل جزء من الإيمان، ولا يتحقق الإيمان بدونه. فيقول: "ترى الإنسان يفيد كلامه مرة واحدة بقيد، فيحمل سائر كلامه المطلق على هذا التقييد، فكيف يسوغ لقومنا أن يلغوا تقييد الله – عَزَّ وجَلَّ – الإيمان بالعمل الصالح مع أنه لا يكاد يذكر الفعل من الإيمان إلا مقروناً بالعمل الصالح؟ بل الإيمان نفسه مفروض لعبادة مَن يجب الإيمان به وهو الله تعالى، إذ لا يخدم الإنسان مثلاً سلطاناً لا يعتقد بوجوده، وثبوت سُلْطته، فالعمل الصالح كالبناء النافع، المظلل المانع للحر، والبرد والمضرات، والإيمان أُس، ولا ينفع الأُس بلا بناء عليه، ولو بنى الإنسان أُلوفاً من الأُسس ولم يبن عليها لهلك باللصوص، والحر، والبرد، وغير ذلك، فإن ذكر الإيمان مفرداً قيد بالعمل الصالح. وإذا ذكر العمل الصالح، فما هو إلا فرع الإيمان، دليل على أن كلاً منهما غير الآخر، لأن الأصل فى العطف المغايرة بين المتعاطفين، ففى عطف الأعمال الصالحات على الإيمان إيذان بأن البشارة بالجنَّات، وإنما يستحقها مَن جمع بين الأعمال الصالحات والإيمان".

موقفه من أصحاب الكبائر:

كذلك نجد المؤلف يحاول أن يأخذ من القرآن ما يدل على أن مرتكب الكبيرة مخلَّد فى النار وليس بخارج منها. فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية81 من سورة البقرة: چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ چ (البقرة: ٨١) يقول: {سَيِّئَةً} خصلة قبيحة، وهى الذنب الكبير، سواء أكان نفاقاً أو إشراكاً، ومن الذنوب الكبيرة: الإصرار، فإنه نفسه كبيرة، سواء أكان على الصغيرة أو الكبيرة، والدليل على أن السيئة: الكبيرة قوله: چ ﮜ ﮝ ﮞ چ.. ويحتمل وجه آخر وهو أن السيئة: الذنب صغيراً أو كبيراً، ثم يختَص الكلام بالكبيرة بقوله: چ ﮠ ﮡ ﮢ چ وإن قلت: روى قومنا عن

ابن عباس رضي الله عنهما أن السيئة هنا الشرك. وكذا قال الشيخ هود – رحمه الله – إنها الشرك.

**قلت**: ما ذكرته أولى مما ذكراه، فإن لفظ السيئة عام، وحمله على العموم أولى، إذ ذلك تفسير منهما لا حديث، ولا سيما أنهما وقومنا يعترفون بأن الكبيرة تُدْخِل فاعلها النار، ولم يحصروا دخولها على الشرك، ومعترفون بأن لفظ الخلود يُطلق على المكث الكبير، سواء أكان أبدياً، أو غير أبدى، وادعاء أن الخلود فى الموحِّدين بمعنى المكث الطويل، وفى الشرك بمعنى المكث الدائم، استعمال للكلمة فى حقيقتها ومجازها، وهو ضعيف، وأيضاً ذكر إحاطة الخطيئات ولو ناسب الشرك كغيره، لكنه أنسب بغيره، لأن الشرك أقوى ﭽ ں ڻ ڻ ﭼ ربطته ذنوبه وأوجبت له دخول النار، فصار لا خلاص له منها، كمن أحاط به العدو، أو الحرق، أو حائط السجن، وذلك بأن مات غير تائب".

رأيه فى الشفاعة:

ويرى أن الشفاعة لا تقع لغير الموحدِّين، ولا لأصحاب الكبائر، ومن خلال رأيه هذا ينظر إلى آيات الشفاعة فلا يرى فيها إلا ما يتفق ومذهبه.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية 48 من سورة البقرة: ﭽ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي □ □ □ □ □ ﭼ (البقرة: ٤٨) يقول: " وإن قلت: فهل الشفاعة والفداء بالعدل واقعان ولكن لا يُقبلان؟ أم غير واقعين؟ قلت: غير واقعين، أما مَن تأهل للشفاعة من الملائكة والأنبياء والعلماء والصالحين، فلا يتعرضون بها لمن ظهرت شقاوته لهم. فإن تعرَّضوا بها لهم قبل أن تظهر لهم، قيل لهم: إنهم بَدَّلُوا وغيَّروا، وليسوا أهلاً لها، فيتركوا التعرض لها. وأما من لم يتأهل لها فمشغول بنفسه لا يدرى ما يُفعل به.

رؤية الله تعالى:

ويرى أن رؤية الله تعالى غير جائزة ولا واقعة لأحد مطلقاً، ويُصرّح بذلك فى تفسيره لآيات الرؤية، ويرد على أهل السُّنَّة الذين يقولون بجوازها فى الدنيا، ووقوعها للمؤمنين فى الآخرة.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية 55 من سورة البقرة: ﭽ ھ ہ ہ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ﭼ (البقرة: ٥٥) الآية، نراه يذكر ما ورد من الروايات فى هذا الباب، ومن الروايات رواية تفيد: أن موسى سأل ربه أن ينظر إليه بالمجاهرة، يعقب عليها فيقول: "وهذه الرواية تقتضى أن موسى يجيز الرؤية،

حتى سألها ومُنعَها ... وليس كذلك، بل إن صح سياق هذه الرواية فقد سألوه الرؤية قبل ذلك، فنهاهم عن ذلك وحرَّمه، أو سكت انتظاراً للوحي فى ذلك، فلما فرغ وخرج، عاوده ذكر ذلك، فقال لهم: قد سألته على لسانكم كما تحبون، لأخبركم بالجواب الذي يقمعكم لا لجواز الرؤية، فتجلَّى للجبل بعض آياته فصار دكاً، فكفروا بطلب الرؤية، لاستلزامها اللون، والتركيب، والتحيز، والحدود، والحلول، وذلك كله يستلزم الحدوث، وذلك كله محال على الله، وإذا كان ذلك مستلزماً عقلاً لم يختلف دنيا وأخرى، فالرؤية محال دنيا وأخرى، ولا بالإيمان والكفر والنبوة وعدمها".

وعند قوله تعالى فى الآية153 من سورة النساء: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ الآية، يقول: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ إذ سألوا رؤية الله جَلَّ وعَلا الموجبة للتشبيه ... وقالت الأشعرية: الصاعقة إنما هى من أجل امتناعهم من الإيمان بما وجب إيمانه إلا بشرط الرؤية، لا من أجل طلب الرؤية. وهو خلاف ظاهر الآية، مع أن الرؤية توجب التحيز، والجهات، والتركيب، والحلول، واللون، وغير ذلك من صفات الخلق. ويدل لما قلته قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ. والأشعرية لما أُفحموا قالوا: بلا كيف. وحديث الرؤية – إن صح – فمعناه: يزدادون يقيناً بحضور ما وعد الله في الآخرة، فلا يشكون فى وجود الله وكمال صدقه، وقدرته، كما لا يشكون فى البدر"[1].

**قلتُ**: وظاهر مخالفة الشيخ لمذهب أهل السنة والجماعة في أصول المسائل الاعتقادية، وبل وحتى بعض المسائل الفرعية، وربما لم ينتبه الدكتور الذهبي أن الشيخ أطفيش قد كتب تفسيره هذا، وهو لم يتاوز سن 224 سنة فقط، وقد أعقبه بكتب أخرى، ظهر فيه عدم تعصبه، ومحاولته التقريب بين مذهبه ومذهب أهل السنة والجماعة، وقال بعضهم أن تقريراته في تفسيره الثاني الذي لم يكمله، **"داعى العمل ليوم الأمل"**، كانت أقرب إلى روح التسامح وقبول الآخر.

رحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جنانه

## المحاضرة الثانية عشر: محمد المكي مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي، أبو عبد الله، ت:1334هـ /1915م.

[1]: التفسير والمفسرون، محمد الذهبي، ج:02، ص: 40-42.

الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز الشريف الحسني الإدريسي المالكي التونسي، والبرجي نسبة إلى برج بن عزوز بصحراء بسكرة، كناه عمه بأبي طالب تيمنا بأبي طالب المكي صاحب"قوت القلوب"، حلَّاه المخلوف بالقول:"لقب الشيخ بالفقيه الأصولي المحدث المفسر الأديب الشاعر الفلكي"[1]، ولد بنفطة "بالجنوب التونسي" في يوم 15 من شهر رمضان سنة 1270هـ. حينما هاجر إليها والده، والشيخ سليل أسرة كريمة ،من بيت علم وأدب وعز ونسب، تلقي في كنفه مبادئ العلوم، فحفظ القرآن على أبيه وهو في سن الحادية عشر من عمره واعتنى بحفظ المتون واجتهد في العلوم. أما بالنسبة لوالدته فهي السيدة البارة ابنة الشيخ سيدي الشيخ بن أبي القاسم الإبراهيمي الديسي. وفي رحاب تلك الزاوية، زاوية والده الشهيرة حتى اليوم، يطلق عليها اسم زاوية سيدي مصطفى كانت طلعته ونشأته الكريمة[2].

تعلم بجامع الزيتونة، وولي الإفتاء بنفطة، ثم قضاءها، دعا إلى مقاطعة فرنسا إقتصاديا في الجزائر أثناء زياراته لها، فأمرت سلطات الإحتلال بالقبض عليه، وطاردته في الجزائر وتونس، فرحل إلى الآستانة (سنة 1313هـ)، عينه السلطان عبد الحميد مدرسا للحديث والفقه في دار الفنون، وكانت له شهرة كبيرة في العالم الإسلامي[3].

انتقل الشيخ من نفطة إلى مدينة تونس بقصد التحصيل وطلب العلم، وتلقى العلم على كبار الشيوخ من العلماء جامع الزيتونة، وقرأ على العلامة عمر بن الشيخ المحلي "جمع الجوامع" في الأصول والموطأ ومختصر السعدي وغيرها، وقرأ مقالات الحريري على الشيخ محمد النجار و"المغني" على الشيخ سالم، وأخذ القراءات السبع رواية ودراية على الشيخ محمد البشير التواتي. ومن أساتذته في جامع الزيتونة الشيخ مصطفى رضوان وشيخ الإسلام محمد الشاذلي بن صالح، وشيخ الإسلام أحمد بن الخوجة، وشيخ الإسلام سالم بوحاجب، وأخذ عنهم مختلف العلوم والفنون بإقبال وفهم.

---

: شجرة النور الزكية في علماء المالكية، محمد ابن سالم مخلوف، ج:01، ص: 1.423

2: شخصية محمد المكي بن عزوز ودوره الإصلاحي، 1854م-1915م، مذكرة ماستر للطالبة: برجي رزيقة، تحت إشراف: كربوعة سالم، نوقشت بجامعة: محمد خيضر، قسم التاريخ، ببسكرة، سنة: 2013/2012م. ص: 28.

: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 01، ص: 3.231

اتصل في الجزائر بالمربي الشيخ محمد ابن أبي القاسم الشريف الحسني صاحب الزاوية "بوسعادة" المعروفة بزاوية الهامل وأخذ عنه التصوف والطريقة والسلوك، ووضع عنه كتابا في ترجمته "بروق الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم"، كما اتصل بكبار علماء الجزائر وأخذ عنهم. عاد إلى تونس وقد استكمل له صفة الجليل على حداثة السن. وبرع في المعقول والمنقول، في الفروع والأصول، وخاصة في التفسير والحديث والأصول وعلم الكلام، والقراءات والفلك والرياضيات. حصل على الإجازات العلمية من شيوخه الكبار وعلماء عصره، بما يقارب عددهم من الثمانين مجيز بتونس والجزائر والغرب ومصر والحرمين الشريفين وغيرها من البلدان التي انتقل إليها من وقت إلى آخر.

قصد بلاد الجزائر في سنة 1307 هـ واتصل بالإمام المعمر المحدث الشيخ علي ابن الحفاف مفتي المالكية في مدينة الجزائر، وأخذ مع خاله الشيخ أبي القاسم الحفناوي بن الشيخ المفتي المالكي بالجزائر، صحيح الإمام البخاري، ورواياه عنه بالنشأ العالي المشهور .[1]

أُعجب بمنهجه وطريقته وأسلوبه الشيخ الكتاني صاحب "فهرس الفهارس"، والشيخ الإمام الخضر حسين الطولقي، يقول[2] الأول عنه:" هو صديقنا الإمام العلاّمة المحدث المقري الفلكي الفرضي الصوفي المسند... هذا الرجل كان مسند أفريقية ونادرتها، لم نر ولم نسمع فيها بأكثر اعتناءاً منه بالرواية والإسناد والإتقان والمعرفة ومزيد تبحر في بقية العلوم والاطلاع على الخبايا والغرائب من الفنون والكتب والرحلة الواسعة وكثرة الشيوخ، إلى طيب منبت وكريم أرومة وكان كثير التهافت على جمع الفهارس وتملكها حتى حدثني بزاوية الهامل الشمس محمد بن عبد الرحمن الديسي الجزائري الضرير عنه أنه اشترى ثبتَ السقّاط وهو في نحو الكراسين بأربعين ريالاً، وهذا بذلٌ عجيبٌ بالنسبة لحاله، وأعجبت ما كان فيه الهيام بالأثر والدعاء إلى السنة مع كونه كان شيخ طريقة، ومن المطلعين على الأفكار العصرية، وهذه نادرة من النوادر في زماننا هذا الذي كثر فيه الإفراط والتفريط، وقل من

---

1: شخصية محمد المكي بن عزوز ودوره الإصلاحي، 1854م-1915م، مذكرة ماستر للطالبة: برجي رزيقة، تحت إشراف: كربوعة سالم، نوقشت بجامعة: محمد خيضر، قسم التاريخ، ببسكرة، سنة: 2013/2012م. ص: 30.

2: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحق الكتاني، تح/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، ت: 1982م، ج:02، ص: 856.

يسلك فيه طريق الوسط والأخذ من كل شيء بأحسنه عاملا على قوله :چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ ومن الشخصيات الذين أعجبوا وتأثروا بمنهجه أيضا الشيخ العلامة محمد الخضر حسين إذ يقول "وكان خالنا وأستاذنا الشيخ المكي بن عزوز قد سافر إلى الأستانة، وتولى دراسة الحديث وأذيع عنه في تونس بأنه صار يقول بفتح باب الاجتهاد، ولما لقيته بالأستانة ذكر بعض الحاضرين له هذه المسألة، فقال الشيخ:" إني مالكي المسائل الاجتهادية، أما إذا ورد حديث صحيح فأعمل به ولو خالف المذهب"[1].

ترك الشيخ آثارا ومصنفات كثيرة وجليلة، وغالبها مخطوط ومفقود، منها:

"رسالة في أصول الحديث" و"السيف الرباني " و"هيئة الناسك" و"الأجوبة المكبة عن الأسئلة الحجازية" و"الجوهر المرتب" في الهيئة، و"تلخيص الأسانيد" و"إقناع العاتب في آفات المكاتب" و "بروق المباسم في ترجمة محمد بن أبي القاسم" و"عمدة الأثبات" في رجال الحديث، و"شرح بهجة العاشقين" لوالده.

**صلته بالتفسير وعلومه:**

يمكن اعتبار الإمام محمد المكي البرجي من الأئمة الذين خدموا التفسير تدريسا وتأليفا، فعن التدريس، فقد ذكر أهل التراجم أنه "عين مدرسا للحديث الشريف بكلية دار الخير بالأستانة، ثم أستاذاللتفسير بالكلية...يقول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي:" تفنن في المعقول والمنقول في الفروع والأصول، بالأخذ عن أولئك الأعلام المحققين حتى رزق الفتح المبين من رب العالمين، وأصبح من أطواد الأمة ومصابيح الدين، جمع الله فيه في التفسير والحديث والأصول، وفي علم الكلام والقراءات والرياضيات"[2].

ولم أجد من نصوص أخرى يستعان بها في بيان نوع دروسه وأي تفاسير كان يعتمدها، وهل كان يفسر القرآن الكريم من عنديته أم بالاستعانة بأحد التفاسير المشتهرة.

---

1: شخصية محمد المكي بن عزوز ودوره الإصلاحي، 1854م-1915م، مذكرة ماستر للطالبة: برجي رزيقة، تحت إشراف: كربوعة سالم، نوقشت بجامعة: محمد خيضر، قسم التاريخ، ببسكرة، سنة: 2013/2012م. ص: 36.

2: محمد المكي البرجي، حياته مواقفه وآثاره، هشام ذياب، ماجستير، تخصص: التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم: التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2014م، ص: 60.

وفي شق التأليفي، فقد نسب للإمام محمد المكي خمسة تصانيف في التفسير هي:

***تنظيف الوعا من سوء فهم في آية ليس للإنسان إلا ما سعى**

***تهذيب التفاسير القرآنية**

***الفائدة في تفسير سورة المائدة**

***مروى الظمآن في قوله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء.**

***مزيل الإشكال في آية: ولو أسمعهم. في سورة الأنفال.** چ ھ ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ چ

وهي تفاسير غير موجودة بل مفقود بحسب بحثي، إلا ما وقعتُ عليه من مخطوطه: **مزيل الإشكال**، الذي وجدت منه نسخة فريدة في دار الكتب القطرية، وعدد لوحاتها 23 لوحة، برمز: mdkq1636 برقم: 0121/13، والملحق لوحة من لوحاتها.

وتجدر الإشارة أن الذي ذكرها ونسبها له هو إسماعيل باشا البغدادي في "إيضاح المكنون"، ولم أجد من أثبتها له غيره.

رحم الله الإمام، وأسكنه فسيح جنانه.

## المحاضرة الثالثة عشر: الشيخ الإمام طاهر بن صالح السمعوني الجزائري ت:1338هـ/ 1920م.

الشيخ الإمام طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري السمعوني، أشاد به الزركلي فقال:" بحاثة من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره"[1]، ونويهض بالقول:"عالم لغوي، أديب، باحث، من عمد الاصلاح اللغوي والديني بسورية، كان له تأثير كبير في نشر العلم، ووضع مناهج التعليم واصلاح أساليبه"[2]، ولد سنة:1852م في دمشق، لعائلة علم جزائرية تنتمي لقبيلة سمعون الأمازيغية، وكان أبوه قد تقلد منصب الإفتاء على مذهب الإمام مالك في دمشق بعد قدومه إليها سنة 1847م، بعد نفي الأمير عبد القادر الجزائري، وقد نشأ الشيخ طاهر في دمشق وقضى فيها معظم حياته، وعاش دون أن يتزوج متفرغا للعلم وتحصيله. درس على والده مبادئ العلوم العربيّة والشرعيّة، ثم التحق بالمدرسة الجقمقية المجاورة للجامع الأموي بدمشق، حيث تلقى العلم على عبد الرحمن البستاني والفقيه الأصولي عبد الغني الغنيمي الميداني والشيخ عبد الرحمن البوشناقي. أتقن العربية والتركية والفارسية إلى

1 : الأعلام، خير الدين الزركلي،ج:03، ص:221.

2 : معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج:01، ص:101.

جانب لغته الأمازيغية، ودرس على العلماء الأتراك العلوم الطبيعيّة والرياضيّات والفلك والتاريخ. تولى التدريس في المدرسة الظاهرية الابتدائية، وشغل عضوية "الجمعية الخيرية" التي تحولت إلى "ديوان معارف" في عهد والي الشام مدحت باشا، ثم عُيّن مفتشا عاما على المدارس الابتدائية، وفي عام 1898 عُيّن مفتشا على دور الكتب العامة. ومن خلال عمله في قطاع التعليم أدرك سبب الانحطاط الذي تعاني منه الأمة واختزله في ضعف مناهج التعليم، فعمل على النهوض بالمدارس وتطوير برامجها، وحمّل ما يسميه الاستبداد العثماني المسؤولية عن تردي قطاع التعليم[1].

في عام 1878م شارك في تأسيس "الجمعية الخيرية"، وهي الأساس الذي قام عليه التعليم الحديث في دمشق، إذ تحولت لاحقا إلى "ديوان المعارف"، وضمن جهوده، نقل الشيخ طاهر التعليم في دمشق من الكتاتيب وحلقات المساجد إلى المدارس العصرية، وبذل جهدا كبيرا في إنشاء المدارس وإصلاحها، وقامت فلسفته التربوية على التوفيق بين الدين والعلم والاهتمام بالصحافة، ووصفه كثيرون برائد النهضة العلمية في بلاد الشام. هذا التوجه لخّصه المفكر السوري محمد كرد علي بالقول "في هذه الحقبة ظهر نبوغ شيخنا وعبقريته في تأسيس المدارس واستخلاص القديمة من غاصبيها، وحمل الآباء على تعليم أولادهم، ووضع البرامج وتأليف الكتب اللازمة". وقد أثرى معارفه بالسفر إلى القدس وإسطنبول وبعض الدول الأوروبية، وأبدى إعجابه بالمدنية الغربية رغم كرهه للاستعمار، ودعا للنهل من الحضارة الغربية، وقال في هذا الصدد "إن الاقتباس عن الأمم المترقية دليل على النباهة لا كما يظن البله من أن في الاقتباس غضاضة".[2] انتقل إلى القاهرة حيث أقام بضع عشرة سنة (1325 – 1338هـ) في أثناء الحكم التركي في الشام، وعاد فانتخب عضوا في "المجمع العلمي العربي" سنة 1919م وسمي مديرا لدار الكتب الظاهرية.[3]

---

1 : مقال: طاهر الجزائري، العزب الذي أدمن القهوة طلبا للعم، مدونة الجزيرة، بتاريخ: 01/11/2016، موقع: https://www.aljazeera.net/

2: المرجع نفسه.

3: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج:01، ص: 102.

تقول الدكتور فاطمة حافظ:" بدأ الشيخ طاهر الجزائري نشاطه العلمي معلما بالمدرسة الظاهرية الابتدائية عام 1878 ولم يزل في السادسة والعشرين من عمره، وأخذ الشيخ طاهر الجزائري يبث فلسفته الإصلاحية وأفكاره في نفوس التلاميذ، ويمكن إيجاز جهوده الاجتماعية خلال هذا العهد على النحو التالي:

**الجمعية الخيرية الإسلامية**، وهي أعم أعماله وشرع في تأسيسها عام 1878 بمعاونة الشيخ علاء الدين بن عابدين، وجاء إنشائها بغرض توفير المدارس الوطنية التي تقوم بتعليم اللغة العربية والمبادئ الإسلامية في مواجهة مدارس الإرساليات الأجنبية التي اضطر الأهالي لإدخال أبنائهم فيها، ثم صارت الجمعية (ديوان معارف) دمشق، وعين الشيخ طاهر مفتشا عاما على المدارس الابتدائية، وإليه يعود الفضل في تأسيس ثمانية مدارس للذكور ومدرستين للإناث في العام التالي لإنشائها، ويذكر تلميذه الأستاذ كرد علي أنه هو من صاغ برامجها التعليمية ووضع لها الكتب اللازمة.

**المكتبات العامة** :عني الشيخ منذ نعومة أظفاره باقتناء الكتب والمخطوطات واشترى كثيرا منها في صباه وشبابه بمبالغ زهيدة، ولما كبر أدرك حاجة المسلمين إلى إنشاء مكتبات عامة تضم شتات المخطوطات والكتب النادرة وتحفظها للأجيال القادمة، ومن أعماله في ذلك إنشاء (المكتبة الظاهرية) الشهيرة وقد جمع لها آلاف المخطوطات من المدارس الإسلامية المتناثرة ومن الدور الخاصة في المدن السورية، كما كان له فضل إنشاء) المكتبة الخالدية (بالقدس التي حوت مكتبة آل الخالدي وكتبا أخرى.

**الحلقة العلمية** :لم يقنع الشيخ كثيرا بأن إلقاء الدروس الدينية والخطب بالمساجد يكفي وحده لنشر فلسفته في تحقيق الإصلاح الإسلامي، ورجح لديه أن الحلقة الفكرية المغلقة أو الصالون الثقافي الذي ينعقد في أحد البيوتات ويضم بعض المثقفين والشباب الراغبين في الإصلاح ربما يؤتي ثمارا أفضل، وكان هذا منشأ حلقة الشيخ الفكرية التي تأسست مع الجمعية الخيرية لتدعو إلى تعلم العلوم العصرية، ومدارسة تاريخ العرب، والتمسك بمحاسن الأخلاق الدينية، والأخذ بالصالح من المدنية الغربية، وقد

اجتذبت هذه الحلقة إليها خيرة شباب ومصلحي أهل الشام من أمثال: جمال الدين القاسمي، محمد كرد علي، محب الدين الخطيب، عبد الرازق البيطار، وعبد الحميد الزهراوي وغيرهم.

**المطبعة الوطنية** :وهي إحدى مآثره حيث كان وراء إنشاء المطبعة الحكومية التي نهضت بعبء طباعة المنشورات العامة والكتب المدرسية[1].

توفي الشيخ الطاهر الجزائري يوم 05 يناير/كانون الثاني 1920م، في دمشق ودفن في سفح جبل قاسيون تنفيذا لوصيّته، وقد ترك الكثير من التصانيف منها:

**أ- من كتبه المطبوعة[2]:**

-1 التِّبيان لبعض المباحث المتعلِّقة بالقرآن على طريق الإتقان.

-2 توجيه النَّظر إلى أصول الأثر.

-3 الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية.

-4 العقود اللآلي من الأسانيد العوالي.

-5 مبتدأ الخبر من مبادئ علم الأثر.

- 6 مُنيَة الأذكياء في قصص الأنبياء.

-7 إتمام الأُنس في حدود الفرس.

-8 إرشاد الألبَّاء إلى طريق الألف باء.

---

1: من مقال: الشيخ طاهر الجزائري وفلسفته في الإصلاح، فاطمة حافظ، موقع إلكتروني: https://islamonline.net/

2: من مقال: الشيخ طاهر الجزائري، من رواد الدعوة السلفية في بلاد الشام في العصر الحديث، أحمد بن محمود الداهن، موقع إلكتروني: https://www.alukah.net/culture/0/2151/

-9 أشهر الأمثال.

-10 بديع التَّلخيص وتلخيص البديع.

-11 التَّسهيل المجاز إلى فنِّ المعمَّى والألغاز.

-12 التَّقريب لأصول التَّعريب.

-13 تمهيد العُروض في فنِّ العَروض.

-14 حدائق الأفكار في رقائق الأشعار.

-15 الحكم المنثورة.

-16 رسائل في علم الخط.

-17 دائرة في معرفة الأوقات والأيام.

-18 الفوائد الجسام في الكلام على الأجسام.

-19 مدُّ الرَّاحة لأخذ المساحة.

-20 مدخل الطلاب إلى فنِّ الحساب

**ب- من تآليفه المخطوطة:**

-1 أسنى المقاصد في علم العقائد.

-2 الإلمام بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام.

-3 التفسير الكبير.

-4 جلاء الطَّبع في معرفة مقاصد الشرع.

-5 الكافي في اللُّغة.

**جـ- كنَّاشاته المعروفة بالتَّذكرة الطاهرية:**

-1 فهرست كتب في تفسير القرآن الكريم.

-2 رسالة في الإفتاء وشروط المفتي.

-3 إثبات تحريف التَّوراة والإنجيل.

-4 الرِّحلة إلى طبرية.

-5 تواريخ سياحية في بعض البلاد.

**صلته بالتفسير وعلومه:**

لا نملك من الوثائق ما يمكننا أن نبث به أن الإمام الجزائري قد مارس التدريس في حلقاته وأثناء رحلاته في الحواضر الإسلامية، وهو مما لا نستبعده.

وما بين أيدينا يثبت مساهمة الإمام في التفسير وعلومه بالتأليف فيه، بمصنفه المشتهر: تفسير القرآن الكريم، إذ "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن" هو المقدمة لتفسيره المشتهر، وأخطأ من فرَّق بينهما، وتفسيره مخطوط لم ير النور بعد.

يقع التفسير في أربع مجلدات كبار بخط المؤلِّف نفسه، ومصور على بطاقات مكروفيلمية، التفسير عبارة عن **حاشية على تفسير البيضاوي**، يبدأ المؤلف رحمه الله تعالى بإدراج صفحات مطبوعة من تفسير البيضاوي، ويعلق على هوامشها بخط يده، ثم يبدأ في تفسير الآيات التي تناولها البيضاوي ويطيل في تفسيرها ويكثر النقولات، وأحياناً يدرج صفحات من كتب كما هي، كما ينقل كلام شيخ

الإسلام وكلام غيره.

وتوصيفا نقول: المجلد الأول: يقع في 583 ورقة. المجلد الثاني: يقع في 573 ورقة. المجلد الثالث: يقع في 1183 ورقة. المجلد الرابع: يقع في 457 ورقة. وهذا يدل على كبر حجمه، فقد جاوزت لوحاته 2500 تقريبا.

وفي غياب المخطوط، لا يمكننا إلا أن نقول أنها حاشية جديرة ببذل الغالي والنفيس لأجل الحصول عليها، ومحاولة إخراجها لعالم المطبوعة والاستفادة منها.

# والحمد لله رب العالمين

## قائمة المصادر والمراجع:


1: أبجد العلوم، محمد صديق خان، دار ابن حزم، لبنان، ط:01، ت:1423هـ- 2002 م.

2: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:01، ت: 1394هـ/ 1974 م.

3: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط:15، ت: 2002م.

4: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، محمد بسكر، دار كردادة، الجزائر، ط خ، ت: 2013م.

5: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ط خ، ت: 2009م.

6: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، ت:2011م.

7: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، تحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط:01، ت: 2012م.

8: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:07، ت:2000م.

9: الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، أحمد بن أبي عبد الله قاسم البوني، تحقيق: محمد بوبكر، سعيد دحماني، دار الوسام العربي، الجزائر، ط:01، ت:2011م.

10: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:01، ت: 2003م.

11: طبقات المفسرين، شمس الدين الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1983م.

12: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:2، ت: 1982م.

13: معجم أعلام الإباضية، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، ت: 1421هـ / 2000م.

14: معجم أعلام الإباضية، محمد موسى بابا عمي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، ت: 20 2000م.

15: معجم أعلام الجزائر من صَدر الإسلام حتى العصر الحَاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط:02، ت:1980م.

## فهرس المحتويات:


**مقدمة.....03**

**المحاضرة الأولى: أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش، أبو العباس المقري التلمساني ت:1041هـ....05**

**المحاضرة الثانية: أبو زكريا يحي بن الفقيه محمد النايلي الشاوي المليانى ت: 1096هـ.....13**

**المحاضرة الثالثة: محمد بن أبي القاسم بن رجيح بن محمد بن عبد الرحيم، أبو عبد الله الهاملي الحسني ت:1315هـ....24**

**المحاضرة الرابعة: محمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن الخوجة ت:1333هـ/1915م.....29**

**المحاضرة الخامسة: عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي، ت: 1359هـ، 1940م.....36**

**المحاضرة السادسة: محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي ت: 1385هـ، 1965م.....45**

**المحاضرة السابعة: أولا: أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت:1199هـ).....59**

**ثانيا: يوسف أوالحاج حمُّو بن عدُّون، أبو يعقوب،(ت:1252هـ).....61**

**المحاضرة الثامنة: محمد بن علي السنوسي الخطابي الجزائري الحسني الإدريسي ت:1276هـ.....63**

**المحاضرة التاسعة: محمد بن أحمد الراشدي المعسكري، أبو راس الناصري (ت: 1238هـ).....70**

**المحاضرة العاشرة: أولا: عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي، أبو سعيد (ت: أوائل ق 13هـ).....84**

**ثانيا: الشيخ محمد بن عيسى الجزائري (ت1310هـ/1892م).....84**

**المحاضرة الحادية عشر: الإمام الشيخ أمحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش الإباضي ت: 1332هـ/1914م.87**

**المحاضرة الثانية عشر: محمد المكي مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي، أبو عبد الله، ت:1334هـ /1915م.....94**

**المحاضرة الثالثة عشر: الشيخ الإمام طاهر بن صالح السمعوني الجزائري ت:1338هـ/ 1920م.....99**

**قائمة المصادر والمراجع.....106**

**فهرس المحتويات.....107**